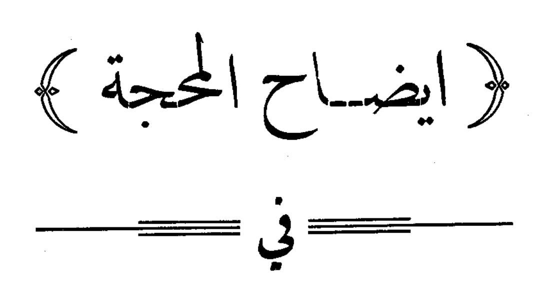


الرد على صاحب طنجة

تأليف الفقير الى الله تعالى

حمود بن عبد الله التويجري

(غفر الله له ولوالديه)

الطبعة الأولى

مؤسسة النور للطباعة والتجليد الرياض

شارع الامام احمد بن حنبل ☎ ٨٧٧ الديرة

من مطبوعات دار الافتاء

(توزع مجـــاناً)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم :

مفتي البلاد السعودية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد فقد اطلعت على هذا المؤلف لفضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري الموسوم (بايضاح المحجة في الرد على صاحب طنجه) كشفا لشبهات للردود عليه وابطالا لترهاته، فوجدته ردا كافياً شافياً، فجزى الله الشيخ حمودأ خيراً وزاده من التصدي لنصرة الدين ورد شبهات المبطلين

قاله الفقير الى عفو الله محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف

وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم .

١٤ / ٥ / ١٣٨٥ الختم

محمد بن ابراهيم آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والعاقبة للمتقين . ولا عدوان الا على الظالمين .

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له الملك الحق المبين .

وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الصادق الامين . ﷺ وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد فقد وقفت على مؤلف لاحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني من اهالى طنجة البلدة المعروفة في اقصى المغرب . سماه « مطابقة الاختراعات العصرية . لما اخبر به سيد البرية » فرأيت فيه اخطاءا كثيرة من تأويل الآيات والاحاديث على غير تاويلها ومن وقيعة في انصار الدين . ومدح واطراء لاعـداء الدين . الى غير ذلك من الاخطاء التي قد شوه بها كتابه . وقـد نبهت على مالا يسع السكوت عنه من تلك الاخطاء خشية ان يغتر بها من قل نصيبه من العلم النافع .

والله المسئول ان يوفقني واخـواني المسلمين لما يحب ويرضى من الاقوال والاعمال. وان يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه. ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ولا يجعله ملتبسا علينا فنضل .

وما اشير اليه من صفحات الكتـاب فالمراد بذلك الطبعـة الثانية سنه ١٣٧٩ هـ مطبعة محمد عاطف .

فصـــل

قال المؤلف في خطبة الكتاب ما نصه .

أما بعد فان علم النبي ﷺ بالغيب واطلاع الله تعالى اياه على ما كان وما يكون الى قيام الساعة والى ان يصير الفريقان الى منازلهم من الجنة أو النار ، بل وما بعد ذلك الى ما لا نهاية له من الازمان، معلوم ضرورة لاهل الايمان، مقطوع به عند اهل المعرفة والإيقان؛ لا يختلف في ذلك منهم اثنان. ولا يشك فيه فاضلان .

والجواب ان يقال أما اطلاع الله تعالى لرسوله محمد ﷺ على ما كان وما يكون الى قيام الساعة والى أن يصير الفريقان الى منازلهم من الجنة أو النار فهذا صحيح ، وقد جاء في ذلك عـــدة احاديث ذكر المصنف بعضها، منها حـــديث عمر رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري تعليقا مجزوما به ووصله الطبراني وابو نعيم.

ومنها حديث حذيفه رضي الله عنه قال لقـــد خطبنا النبي ﷺ خطبته ما ترك فيها شيئا الى قيام الساعة الا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله . رواه الامام احمد والشيخان وابو داود .

ومنها حديث حذيفة ايضا رضى الله عنه قال اخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة فما منه شيء الا قد سألته الا اني لم اسأله ما يخرج اهل المدينة من المدينة رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي ومسلم .

ومنها حـــديث ابي زيد وهو عمرو بن اخطب الانصاري رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعـــد المنبر فخطبنـــا حتى غربت الشمس فاخبرنا بما كان وبما هو كائن فاعلمنا احفظنا رواه الامام احمد ومسلم .

ومنها حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا اخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والترمذي والحاكم .

وقال الترمذي هذا حديث حسن .

ومنها حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قام فينـــا رسول الله ﷺ مقاماً اخبرنا بما يكون في امته الى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه رواه الامام احمد والطبراني .

ومنها حديث عمر رضي الله عنـــه قال قال قال رسول الله ﷺ (ان الله عزوجل قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر الى كفي هـــذه) رواه الطبراني .

وأما علمه ﷺ بما بعد دخول الجنة والنار الى مالا نهاية له من الازمان فهذا لا دليل عليه . وقـد قال الله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم) وقد استدل المصنف على ذلك بقول الله تعالى (عالم الغيب فـــلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول) ولا دليل في الآية على ماذهب اليه .

فصـــل

وقال المصنف في صفحة ٦ وصفحة ٧ مانصـه .

فمن تلك الامــور العظام التى قال ﷺ اننا سنراها بابور السكة الحديدوالاوطمبيل والبسكليتة وما في معناها .

وقــد اخبر بها ﷺ بخصوصها ووردت الاشارة اليها في القرآن والاحاديث النبوية .

أما القرآن ففي ثلاث آيات حسبما حضر لنا ، الآية الاولى قوله تعــالى (وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله مايركبون) اى خلقنــا لهم مما يماثل الفلك المشحون ما يركبون فى البر . والذي يماثل القلك المشحون في كبره وكثرة حمله هو بابور السكة الحديد وسيارات النقل التي تحمل عشرات الركاب مع بضائعهم وحاجياتهم وتكون مارة كأنها الاعلام طولا وعلوا كما وصف الله تعالى به السفن الجواري في البحر كالاعلام . وكذلك بابور السكة الحديد بل هــو اولى بالشبه والمثلية للفلك المشحون .

أما المفسرون الذين فسروا المثل في الآية بالابل فمعذورون لانه لم يكن في زمانهم مايشبه الفلك في حمل الركاب والبضائع فاضطروا لحمل الآية على الابل، وان كان حملا باطــلا مقطوعا ببطلانه لان الفلك المشحون يحمل العشرات من الناس باثقالهم ويحمل مع ذلك الكثير من السلع والبضائع ،وهذا بالنسبه لما كان في زمانهم ،أما ما حدث

في زماننا فالسفينة تحمل الآلاف من الناس ومن القناطر المقنطرة من البضائع ، ثم السفن التي كانت في زمانهم ايضا مع كبرها وحملها الكثير من الركاب والاثقال كانت تجري في البحر جريا حثيثا بالرياح كما قال تعالى (وله الجواري المنشئات في البحر كالاعلام)

وكل ذلك مخالف لوصف الابل تمام المخالفة فمشيها بطيء للغاية وحملها لا يقاس بحمل السفن بل كانت السفينة تحمل ما يزيد على حمل مائة بعير، فكيف يصح تفسير الآية بها ، بل ذلك باطل قطعا .

وإنما الذي يماثل الفلك المشحون تمام المماثلة في كثرة حمله وسرعة سيره في البر هو بابور السكة الحديد ثم السيارات فهي المرادة بالآية جزما .

وقد قال ابن عباس والحسن والضحاك وجماعة في الآية المذكورة وخلقناهم سفنا امثال تلك السفن يركبونها . قال النحاس وهذا اصح لانه متصل الاسناد عن ابن عباس، وهذا يدل على شفوف نظر ابن عباس رضي الله عنهما ونظره بنور الله تعالى في معاني القرآن الكريم تصديقا لدعاء رسول الله ﷺ اذ قال « اللهم فقه في الدين وعلمه التاويل » . فان وجود السفينة في البر لا يخطر ببال احد ولا يكاد ينطق به عاقل في ذلك الوقت، ولكن ابن عباس رضي الله عنهما نظر الى الغيب من ستر رقيق اذ قال ذلك فكان هو المطابق للحال الموافق للواقع، انتهى المقصود من كلامه .

وفيه ثلاثة اخطاء .

الاول : قوله ان حمل الآية على الابل باطل مقطوع ببطلانه والثاني : قوله ان بابور السكة الحـــديد والسيارات هي المرادة بالآية جزما .

والثالث:زعمه ان ابن عباس رضي الله عنهما حين قال وخلقنا لهم سفنا امثـــال تلك السفن يركبونها اراد بذلك السيـــارات وبابور السكه الحديد .

والجواب عن هذه الاخطاء وعما ذهب اليه في تفسير الآية من وجوه .

الاول: ان الله تعالى عبر في الآيه بصيغة الماضي الذى قد وقع فقال تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) . وهذا صريح في إرادة السفن الموجودة في زمن النزول وما قبله . ولو كان المراد بها ما حـدث بعـــد النزول باكثر من الف وثلاثمائه سنة لعبر عن ذلك بصيغة المستقبل .

وهذا ظاهر في ابطـــال ماجزم به المصنف في تفسير الآية الكريمـــة ، يوضح ذلك .

الوجـــه الثاني : وهو ان الله تعالى امتن على عبـــاده بما يسره من حمل ابائهم في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام وجعل ذلك من آياته الدالة على كمال قدرتة ، ثم امتن عليهم بما خلق لهم من السفن المشابهة لسفينـــة نوح ليشكروه على ما انعم به عليهم ويفردوه بالعبادة . واول من خوطب بهذا التذكير والامتنان هم كفار قريش ومن حولهم من احياء العرب .

ويدل على ذلك قوله تعالى فى اول السورة (لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون) وقوله بعد الآية التي ذكر فيها الفلك (وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) .

وليس من المعقول ان يخاطبهم الله تعالى ويذكرهم بما لا يعرفونه وان يمتن عليهم بمايحدث بعدهم باكثر من الف وثلثمائة سنة .

الوجه الثالث ان الله تعالى عقب الآية بقوله (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون) وهذا واضح في إرادة السفن التى تجري فيالبحر . ولو كان المراد ما حدثمن السيارات وبابور السكة الحديد لكان ذكر الغرق ههنا لامعنى له ولا فائدة في ذكره .

الوجه الرابع ان ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها . وكذا قال ابو مالك والضحاك وقتادة وابو صالح والسدي ان المراد بذلك السفن . وهذا يرد مازعمه المصنف من ان ابن عباس رضي الله عنهما اراد بذلك السيارات وبابور السكة الحديد . وقال العوفي عن ابن عباس رضي اللهعنهما يعني بذلكالأبل، فانها سفن البر يحملون عليها ويركبونها وكذلك قالعكرمة ومجاهد والحسن وغيرهم . ويشهد لهذاقولالله تعالى(وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون) وهذا يرد قول المصنف إن حملها على الابل باطل مقطوع ببطلانه . والقول الاول أقوى واولى بظاهر الآية والله أعلم .

الوجه الخامس : ان الصحابة رضي الله عنهم اعلم بتفسير القرآن ممن جاء بعدهم ولا سيما حبر الامة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد فسر المراد من الآية بالسفن وفسره ايضا بالابل لاشتراكها مع السفن في حمل الاثقال والركوب عليها ومع هذا يقول المصنف ان حمل الآيه على الابل باطل مقطوع ببطلانه، وهذه جراءة عظيمة على مقام حبر الامة، ومن قال بقوله من اكابر التابعين ٠

الوجه السادس : ان الباطل قطعا هو جزم المصنف بان المراد بالآية السيارات وبابور السكة الحديد ، وعزوه ذلك الى ابن عباس رضي الله عنهما وذلك من القول عليه بما لم يقله .

الوجه السابع : ان القول في القرآن بمجرد الرأي حرام .وقد ورد الوعيد الشديد على ذلك كما في الحديث الذي رواه الامام احمد والترمذي وابن جرير والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « من قال في القرآن برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » هذا لفظ بن جرير وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وروى الترمذي ايضا وابو داوود وابن جرير والبغوي عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد اخطأ) قال الترمذي هذا حديث غريب .

قال وهكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي ﷺ وغيرهم انهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم .

وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من اهل العلم انهم فسروا القرآن فليس الظن بهم انهم قالوا في القرآن اوفسروه بغير علم أو من قبل انفسهم ، وقد روي عنهم ما يدل على ماقلنا انهم لم يقولوا من قبل انفسهم ، ثم ساق باسناده عن قتادة انه قال مافي القرآن آية الا وقد سمعت فيها شيئا .

وباسناده عن مجاهد انه قال لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج ان أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت انتهى كلام الترمذى .

وقال البغوي قال شيخنا الامام قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئا من غير علم .

قال وأما التفسير وهو الكلام في اسباب نزول الاية وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل انتهى .

ولايخفى ان تفسير المصنف لقول الله تعالى (وخلقنا لهم من مثله مايركبون) وجزمه بان المراد بذلك السيارات وبابور السكة الحديد لم يكن من طريق النقل الثابت وانما هو تفسير بمجرد الرأي فهو بذلك متعرض للوعيد الشديد والله اعلم .

فصـــل

وقال المصنف في صفحة ٧ وصفحة ٨ ما نصه .

الآية الثالثةقوله تعالى في اشراط الساعة (واذا العشار عطلت) اي عن السفر عليها وحمل الاثقال عليها .

والعشار هي الابل التي قد أتى عليها عشرة أشهركماقال ثعلب وأئمة اللغة . وانما عطلت عن السفر ونقل السلع والبضائع عليها بوجود السيارات وبوابير سكة الحديد فانها بعد ظهورها لم يعد احد يسافر على آلابل او يرسل بضائعه عليها الا نادرا جدا فيما لم يمكن سفر السيارات اليه حتى ان عرب الحجاز وجزيرة العرب تضرروا غاية لما عبدت الطرق في بلادهم وانتشرت فيها السيارات التي عطلت ابلهم عن العمل الذى كانوا منـــه يرتزقون . وقـــد ورد التصريح بهذا ايضـــا عن رسول الله ﷺ فقال مســـلم في صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي ســـعيد عن عطاء بن ميناء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « والله لينزلن ابن مريم حـكما عـــدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها» الحديث. القلاص بكسر القاف جمع قاوص بفتحها وهي من الابل كالفتاة من النساء . فقوله ﷺ ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها تعيين للمراد من قوله تعـــالى . واذا العشار عطلت . يعني يـــترك استخدامها في السفر ونقل البضائع كما كان حالها من قبل .

والجواب عن هذا من وجوه :

الاول ان الآيات في اول سورة التكوير ليست واردة في اشراط الساعة كما زعم ذلك المصنف ، وانما هي في أهوال يوم القيامة كما هو واضح من سياق الآيات ، وكما هو ظاهر من كلام المفسرين من الصحابة وائمة التابعين، والدليل على ذلك ما رواه الامام احمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأى عين فليقرأ (اذا الشمس كورت) . واذا (السماء انفطرت) . (واذا السماءا نشقت » قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

الوجه الثاني : ان تفسيره لآية التكوير تفسير بمجرد الراى . وقد تقدم ان ذلك حرام ومتوعد عليه بالوعيد الشديد .

الوجه الثالث : ان ابي بن كعب رضى الله عنه وغير واحد من اكابر التابعين فسروا الاية بغير ما فسرها به المصنف وهم أعلم بكتاب الله منه ، والمرجع في التفسير اليهم والى امثالهم، لا الى المتكلفين كالمصنف وامثاله من العصريين. قال ابي بن كعب رضى الله عنه في قوله تعالى (واذا العشار عطلت) قال اهملها اهلها ،وقال عكرمة ومجاهد هى عشار الابل،قال مجاهد عطلت تركت وسيبت وقال الربيع بن خثيم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها . وقال الضحاك تركت لاراعي لها .

قال ابن كثير والمعنى في هذا كله متقارب .

قال والمقصود ان العشار من الابل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها الى الشهر العاشر قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا ارغب شيء فيها بما دهمهم من الامر العظيم المفظع الهائل وهو امر يوم القامة وانعقاد اسبابها ووقوع مقدماتها . وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها اصحابها كذلك لاسبيل لهم اليها .

قلت ويقوي هـذا القول ما تقدم ذكره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

الوجه الرابع : ان العشار من الابل لا يركبها اهلها ولا يحملون عليها الا في النادر، وانما يركبون ويحملون على الذكور من الابل والحوائل من اناثها ولاسيما الشواب منها وهي المراد بالقلاص قال الجوهري القلوص من النوق الشابة وهي بمنزلة الجارية من النساء وقال العدوي، القلوص اول مايركب من اناث الابل الى ان تثني فاذا أثنت فهي ناقة . والقعود اول ما يركب من ذكور الابل الى ان يثني فاذا أثنى فهو جمل وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قلوصا . وقال صاحب القاموس القلوص من الابل الشابة او الباقية على السير خاص بالاناث . وقال مرتضى الحسيني في تاج العروس قال ابن دريد هو خاص بالاناث ولا يقال للذكور قلوص انتهى .

واذا كانت العشار لا تركب ولا يحمل عليها الا نادرا فاى متعلق للمصنف في قوله تعالى • واذا العشار عطلت . اذ لا دليل فيها على ما ذهب اليه .

الوجه الخامس : ان المصنف جعل معنى الآيــة ومعنى مافي حديث ابي هريرة رضي الله عنه واحداوليس الامر كذلك، فان التعطيل المذكور في الاية هو تركها بالكلية لاشتغال الناس عنها بما حل بهم من الهول العظيم . واما الترك المذكور في حديث ابي هريرة فهو ترك السعي عليها لاتركها بالكلية واين هذا من ذاك .
وقد اختلف في معنى ترك السعي على القلاص فقال النووي معناه ان يزهد فيها ولا يرغب فى اقتنائها لكثرة الاموال وقلة الآمال وعدم الحاجة والعلم بقرب القيامة وانما ذكرت القلاص لكونها اشرف الابل التى هى انفس الاموال عند العرب وهو شبيه بمعنى قول الله عزوجل . واذا العشار عطلت . ومعنى لا يسعى عليها لا يعتني بها اي يتساهل اهلها فيها ولا يعتنون بها هذا هو الظاهر وقال القاضي عياض وصاحب المطالع معنى لا يسعى عليها اي لا تطلب زكاتها اذ لا يوجد من يقبلها .
قلت وهــكذا قال ابن الاثير وابن منظور في لسان العرب ان معنى لايسعى عليها ايلايخرج ساع الى زكاة لقلة حاجةالناس الى المال واستغنائهم عنه .

قال النووي وهذا تأويل باطل من وجوه كثيرة . قلتبل هو أقوى واظهر من قول النووي . ويؤيده ما رواه ابن ماجــه من حديث ابي أمامة الباهلي رضي الله عنــه عن النبي ﷺ في ذكر الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وفيه قال رسول الله ﷺ « فيكون عيسى بن مريم عليه الصلاةوالسلام في امتي حكما عدلا واماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية

ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير» الحديث وهو مطابق لحديث ابي هريرة الذي تقدم ذكره في كلام المصنف ومفسر لمعنى ترك السعي على القلاص اذ كل من الحديثين وارد فيما يكون في ايام عيسى عليه الصلاة والسلام فما أبهم في حديث ابي هريرة رضي الله عنه فهو مفسر في حديث ابي أمامة رضي الله عنه .

ويؤيده ايضا مافي الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد احدا يقبلها منه » هذا لفظ مسلم .

وفي الصحيحين ايضا من حديث حارثة بن وهب وابي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوه. وروى الامام احمد والبخاري من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحو ذلك ايضا.

ومما يرد قول النووي مارواه الامام احمد ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا (١) قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس»

وهذا يدل على ان الرغبة في اقتناء الابل لاتزال باقية الى ان ينفخ في الصور لا كما يقول النووي ان أهلها يزهدون فيها ولا يعتنون بها .

---

(١) الليت : صفحة العنق وهما ليتان ، وأصغى: أمال « نهاية » .

ويحتمل ان يكون معنى قوله وتترك القلاص فلا يسعى عليها اي يترك ركوبها في الاسفار والحمل عليها وهذا مطابق للواقع في هذه الازمان وان كان قول عياض ومن وافقه اقوى منه من حيث الدليل.

ويحتمل ان يكون كل من الامرين مراداً في الحديث اعنى ترك السعي عليها للصدقة وترك ركوبها والحمل عليها والله أعلم .

الوجه السادس أن عرب الحجاز وجزيرة العرب لم يتضرروا من تعبيد الطرق في بلادهم وانتشار السيارات فيها كما زعمه المصنف بل انتفعوا به كثيراً واستراحوا من كثير من المشقة والعناء مما كان يصيبهم بسبب السفر على الابل والحمل عليها، وكان ارتزاقهم بسبب السيارات أعظم بكثير من ارتزاقهم بسبب الابل. وانتفعوا ايضا بكثرة اثمان الابل فقد كانت الناقة الجيدة في زمن السفر على الابل والحمل عليها تساوي مائة ريال او نحوها وأما الآن فتساوي سبعمائة وثمانمائة وربما زادت على الالف وهذا خير لاهل الابل مما كان من قبل .

فصل

وفى صفحة(٨) جزم المصنف ببقاء استعمال السيارات الى زمان نزول عيسي بن مريم عليهما الصلاة والسلام .

وهذا مما لا ينبغي الجزم به لان ما يقع في المستقبل أمر غيبي لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقال تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) الآية .

وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله، ولا يعلم نزول الغيث الا الله، ولا يعلم ما في الارحام الا الله، ولا يعلم الساعة الا الله، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت» رواه الامام أحمد والبخاري.

واذا علم هذا فاثبات ما يكون في المستقبل يحتاج الى دليل قاطع من نصوص الكتاب أو السنة، ولا دليل على ما ذكره المصنف فلا ينبغي اذن الجزم ببقاء السيارات الى زمان نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فقد يفنيها الله ويفني صانعها كما أفنى القرون الاولى وأفنى صنائعهم معهم وأبقى من آثارهم انموذجا يسيرا أدهش به المتأخرين وحيرهم كالاهرام المصرية وغيرها من الآثار القديمة.

ولا ينبغي ايضا الجزم بعدم السيارات فقد يبقيها الله تعالى الى زمان نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

والمقصود ههنا أنه لا يجوز الخوض في الأمور المستقبلة بمجرد الظن والتخرص، بل يرد علم ذلك الى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم ما كان وما يكون. لا اله إلا هو، ولا رب سواه.

فصـل

في صفحة (٩ و ١٥) جزم المصنف ان الدجال وأعـوانه يسيرون في الطائرات والسيارات .

وهذا مما لا ينبغي الجزم به لان مايكون في المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى، وليس مع المصنف دايل قاطع فيما ذهب اليه .

وأما قوله في حـديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قلنـا يارسول الله وما اسراعه في الارض؟ قال كالغيث استدبرته الريح فلا يلزم منه أن يكون سيره على الطائرات والسيارات بل قدتخرق له العادة إما بطي الارض وإما بغير ذلك .

وقد جاء في حديث جابر رضي الله عنـه قال قام رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال « يا أيها الناس اني لم أجمعكم لخبر جاء من السماء ـ فذكر حديث الجساسة وزاد فيـه ـ هو المسيح تطوى له الارض في أربعـين يوما » . الحديث رواه أبو يعـلى باسنادين قال الهيثمي : رجال احدهما رجال الصحيح

وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي الطفيل عن حذيفة ابن أسيد رضي الله عنـه أنه قال « الدجـال يخرج في نقص من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين، فيرد كل منهل فتطوى له الارض طـي فروة الكبش » الحديث وفيـه « ولا يسخر له من المطايا الا الحمار فهو رجس على رجس » وقال الذهبي في تلخيصه : على شرط البخاري ومسلم .

وروى الامام احمد في مسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال رسـول الله ﷺ « يخرج الدجال في خفـة من الدين وادبار من العـلم ، وله اربعون ليلة يسيحها في الارض اليوم منها كالسنة واليـوم منها كالشهر واليـوم منها كالجمعة ثم سائر ايامه كأيامكم هـذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين اذنيه اربعون ذراعا » الحديث، واسناده صحيح على شرط الشيخين . ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في تلخيصه : على شرط مسلم .

وما في هذه الاحاديث هو المعتمد في سير الدجال في الارض لصحة اسانيدها وعدم ما ينافيها . وركوبه على الحمـار الذي عرض مابين اذنيه اربعون ذراعاً ابلغ في الافتتان به من ركوبه على الطائرات والسيارات وغيرهما مما قـد عرفه الناس واعتادوا ركوبه ، وكذلك سيره على الحمار العظيم الجسم قد يكون اسرع من سير الطائرات بكثير والله اعـلم

والمقصود هنا انه لا ينبغي الجزم بسير الدجال في الطائرات والسيارات ولا بعـدم ذلك ؛ لانه امر غيبي ، والخوض في مثل ذلك من الرجم بالغيب .

فـصل

وفي صفحة (١٠) جزم المصنف في شأن المهدي بنحو ما جزم به في شأن عيسى والدجال من بقـاء الطائرات والسيارات الى زمانـه .

والجواب عنه هو ما تقدم في الفصلين قبله والله اعلم .

فصــل

وقال المصنف في صفحة (١٦) ما نصه :

وأما الطائرات الحربية فمذكورة في القرآن العظيم وفي السنة النبوية . قال الله تعالى (والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا . فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكرا . عـذراً او نذرا . انما توعدون لواقع) .

فهذا وصف للطائرات الحربية بجميع حركاتها وافعـالها تعصف بقنابلها، وهي تحتمل في اللغة معنيين تترك الناس كعصف مأكول وتميل احيانا عن هدفها وهو معنى العصف ايضاً وتنشر المنشورات على الجنود في ميادين الحرب وعلى الاهالى والسكان في المدن للدعاية والاخبار بمـا تريده الدولة المحاربة وتفرق بين الجموع والكتائب فرقا لأن الرعب بها والهزيمة اشد من غيرها بحيث لا يثبت تحتها جمع بل بمجرد رؤيتها من بعيد يقـع الفرار والتفرق والاختفاء في الكهوف والملاجىء . فالملقيات ذكرا عذرا : تعذر به الدولة عن ضربها بعض الاماكن البريئة والتي ليست من مراكز الحرب . اونـذرا تنذر به السكان وتخوف وتوعد وتهدد وتطلب التسليم ونحو ذلك من نـوع الانذار كما هو معروف .

والجواب عن هذا من وجوه :

الاول ان تفسيره للآيات تفسير بمجرد الرأي بل الحـاد في آيات الله تعالى وقرمطة فيها شبيهة بقرمطة الرافضة وتأويلهم للقرآن .

وقد تقدم ان تفسير القــرآن بالرأي حرام ومتوعد عليــه بالوعيد الشديد .

قال الله تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينــا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يــوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بمــا تعملون بصير) .

وفي هذه الآية الكريمة تهديد شديد ووعيد أكيد لمن ألحد في آيات الله تعالى وتأولها على غير تأويلها . قال ابن عباس رضي الله عنهما: الالحاد وضع الكلام على غير مواضعه .

ولا يخفى على ذي علم ما جرى عليه احمد بن محمد بن الصديق الغماري من تفسيره لآيات كثيرة بمجرد الرأي ووضعه الكلام فيها على غير مواضعه ومخالفة ما جاء عن السلف الصالح في ذلك .

وقد روى الفريابي عن الحسن قال سأل صبيغ التميمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات ذروا . وعن المرسلات عرفا وعن النازعات غرقا . فقال عمر رضي الله عنه اكشف رأسك فاذا له ضفيرتان فقال: والله لو وجدتك محلوقاً لضربت عنقك ثم كتب الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ان لا يجالسه مسلم ولا يكلمه، وقد روي من غير وجه ان عمر رضي الله عنه ضربه ضرباً وجيعاً وحمله على قتب .

وروى الآجري في كتاب الشريعة من حديث السائب بن يزيد قال أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا لقينا رجلا يسأل عن تأويل القرآن فقال اللهم أمكني منــه فبينما عمر رضي الله عنه ذات يوم يغدى الناس اذ جاءه رجل عليه ثياب

وعمامة يتغدى حتى اذا فرغ قال يا أمير المؤمنين (والذاريات ذرواً . فالحاملات وقراً) فقال عمر رضي الله عنه انت هو فقام اليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيبا ثم ليقل ان صبيغا طلب العلم فأخطأه . فلم يزل وضيعا في قومه حتى هلك وكان سيد قومه . واذا كان هذا فعل عمر رضي الله عنه مع من كان يسأل عن متشابه القرآن فكيف لو رأى من يتأول القرآن على غير تأويله .

الوجه الثاني ان الصحابة والتابعين فسروا الآيات التي ذكرها المصنف بغير ما فسرها به وهم اعلم بتفسير القرآن ممن بعدهم .

قال ابو هريرة رضي الله عنه في قوله عز وجل (والمرسلات عرفا) قال هي الملائكة ارسلت بالمعروف رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى ابن جرير من طريق مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه (والمرسلات عرفا) قال: الملائكة .

وروى ابن المنذر عن ابن عباس رضى الله عنهما (والمرسلات عرفا) قال: الملائكة (فالفارقات فرقا) قال: الملائكة فرقت بين الحق والباطل . (فالملقيات ذكرا) قال : الملائكة بالتنزيل .
وروى ابن جرير عن مسروق (والمرسلات عرفا) قال: الملائكة .

وروى عبد بن حميد عن مجاهد (والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفاً . والناشرات نشرا . فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكرا) قال : الملائكة .

وروى عبد بن حميد وأبو الشيخ وابن المنذر عن أبي صالح (والمرسلات عرفا) قال : هي الرسل ترسل بالمعروف (فالعاصفات عصفا) قال : الريح (والناشرات نشرا) قال : المطر (فالفارقات فرقا) قال : الرسل . وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر من وجه آخر عن أبي صالح (والمرسلات عرفا) قال : الملائكة يجيئون بالأعارف (فالعاصفات عصفا) قال : الريح العواصف (والناشرات نشرا) قال : الملائكة ينشرون الكتب (فالفارقات فرقا) قال : الملائكة يفرقون بين الحق والباطل (فالملقيات ذكرا) قال : الملائكة يجيئون بالقرآن والكتاب (عذرا) من الله (أو نذرا) منه الى الناس وهم الرسل يعذرون وينذرون .

وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق أبي العبيدين أنه سأل ابن مسعود رضي الله عنه (والمرسلات عرفا) قال : الريح (فالعاصفات عصفا) قال : الريح (والناشرات نشراً) قال الريح (فالفارقات فرقا) قال : حسبك .

وروى عبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وغيرهم عن خالد بن عرعرة قال: قام رجل الى علي رضي الله عنه فقال: ما العاصفات

عصفا ؟ قال : الرياح . قال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما (والمرسلات عرفا) قال : الريح (فالعاصفات عصفا) قال: الريح (فالفارقات فرقا) قال : الملائكة (فالملقيات ذكرا) قال : الملائكة .

وروى ابن جرير عن مجاهد (والمرسلات عرفا) قال : الريح (فالعاصفات عصفا) قال : الريح (والناشرات نشرا) قال : الريح .

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة (والمرسلات عرفا) قال : هي الريح (فالعاصفات عصفا) قال : هي الريح (فالفارقات فرقا) يعني القرآن ما فرق الله به بين الحق والباطل (فالملقيات ذكرا) هي الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتلقيه الرسل على بني آدم (عذرا أو نذرا) قال : عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه .

فهذه أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات من أول سورة المرسلات كما ترى ، والعمدة عليها لا على قرمطة المقرمطين وشطحات المنحرفين الخاطئين .

الوجه الثاني : ان الله تبارك وتعالى أقسم بالآيات من أول سورة المرسلات على وقوع المعاد والجزاء ، والله تبارك وتعالى أعظم وأجل من أن يقسم بظلم بني آدم وعدوان بعضهم على

بعض واهلاكهم للحرث والنسل بالطائرات والقنابل وما يلقونه من منشورات البغي والافساد في الارض ، ومـــن زعم ان الله تعالى أقسم بالطائرات والقنابل ومنشورات أهلها فقـــد أعظم على الله الفرية .

فصـــل

وقال المصنف في صفحة (١٦- ١٧) ما نصه :

وقال تعالى : (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) الآية . فانها واردة في إلقـاء القنابل من الطائرات . فقد سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية الكريمة فقال : (أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد) رواه أحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي وقاص بسند حسن .

فهذا يفيد القطع بأن المراد بالعذاب من فوق في الآية المذكورة هو القنابل النازلة من الطائرات ، لأنه لم يقع فيما مضى شيء من ذلك فى هذه الأمة حتى ظهرت الطائرات ورميها بالقنـــابل ، والنبي ﷺ أخبر بأن ذلك كائن لا محالة وأنه آت بعده، فحصل من ذلك القطع بأنها المراد من الآية . وقد تحقق ذلك وضرب المسلمون وغيرهم بالقنابل من فوقهم ، ولا يزال الناس مهددين بالنوع الخطر منها وهي القنابل الذرية التي هي عذاب عام شامل وستأتي الإشارة اليها بخصوصها في آية أخرى .

وأما العذاب من تحت الارجل فأشار الى الالغام التي تنصب

في الارض فيمر عليها من يراد إهلاكه فتنفجر تحت رجله أو عربته فيهلك أو تنصب تحت الدور والمنازل فتتهدم على من فيها ممن يريد الله هلاكه وعذابه .

ومن الاحاديث العجيبة في هذا الباب ما رواه أحمد في مسنده بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطراً لا تكن منها بيوت المدر ولا تكن منها الا بيوت الشعر » . فالمطر الذي لا تكن منه البيوت المبنية بالحجر هو القنابل النازلة من الطائرات، فانه يهدمها على من فيها ولو لم تنزل على البيت نفسه ، لان قوة انفجارها تهدم البيوت القريبة من مكان الانفجار على من فيها ، فلا تكن بيوت المدر منها وانما تكن منها بيوت الشعر في البوادي التي يسكن أهلها خيام الشعر ، فان القنابل اذا لم تنزل على نفس الخيمة لا لا يحصل منها ضرر لسكان القرية الذين يختبئون في المغارات وتحت الاحجار . فالحديث لولا ظهور القنابل لما تصور أحد معناه .

والجواب : ان يقال ان تأويله للآية الكريمة وقطعه بما قطع به فيها من نمط ما قبله من التكلف وتأول القرآن على غير تأويله.

والصحيح ان المراد بقوله (عذابا من فوقكم) الرجم من السماء (أو من تحت أرجلكم) الخسف ،قاله أبي بن كعب وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك والسدي وابن زيد وغير واحد .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عيسى الدمغاني قال : أخبرنا ابن المبارك عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم)الآية . قال : فهن أربع ، وكلهن عذاب ، فجاء منهن اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة فألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان فهما لا بد واقعتان ، يعني الخسف والمسخ . وقد رواه الامام احمد وابن جرير من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي ابن كعب رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا) قال : أربع خلال وكلهن عذاب ، وكلهن واقع قبل يوم القيامة ؛ فمضت اثنتان بعد وفاة النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة : ألبسوا شيعا ؛ وأذيق بعضهم بأس بعض ، وثنتان واقعتان لا محالة : الخسف ، والرجم . قال الهيثمي : رجال أحمد ثقات . قلت وكذا رجال ابن جرير .قال الهيثمي : والظاهر ان من قوله : فمضت اثنتان ... الى آخره من قول رفيع – يعنى أبا العالية – فان أبي بن كعب رضي الله عنه لم يتأخر الى زمن الفتنة انتهى .

والقول الثاني في الآية ان المراد بقوله (عذابا من فوقكم) أئمة السوء (او من تحت ارجلكم) الخدم وسفلة الناس رواه ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال ابن جرير - فيما نقله ابن كثير عنه - : وهــذا القول وان كان له وجــه صحيــح لكــن الاول أظهر وأقــوى . قال ابن كثير : وهــو كما قال ابن جرير رحمــه الله ، ويشهد له بالصحة قوله تعالى (أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمــور . ام أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وفي الحديث « ليكونن في هذه الامة قذف وخسف ومسخ » وذلك مذكور مع نظائره في امارات الساعة واشراطها وظهور الآيات قبل يوم القيامة . انتهى .

وقد تضافرت الاخبار بوقوع القذف والخسف والمسخ في آخر هذه الامــة ، وأكثر ماجاء الوعيد في ذلك لاصحاب الغناء والملاهي وشاربي الخمور ، وهي توافق ماقاله ابي بن كعب رضي الله عنه ومن قال بقوله في تفسير الآية الكريمة .

وأما كلام المصنف في معنى حــديث ابي هريره رضي الله عنه فلا يخفى ما فيه من التعسف والتكلف، وما تصوره في معناه فهو تصور فاسد وبيان ذلك من وجوه :

أحدها أن بيوت الشعر لا تكن من القنابل كما زعمه المصنف بل هي أقرب الى الاحتراق والتلف من بيوت المدر ، وهــذا لا يخفى على الصبيان فضلا عن الكبار العقلاء .

الوجه الثاني أن سكان الخيــام اذا اختبؤوا عن القنابل في المغارات وتحت الاحجار فلا يقال ان الخيام هي التي تكنهم من القنابل كما تصوره المصنف وانما تكنهم المغارات والاحجار .

الوجه الثالث: أن الحديث لا تعرض فيه لذكر البيوت المبنية بالحجر وانما ذكرت فيه بيوت المدر، والمدر غير الحجر، قال ابن الاثير المدر هو الطين المتماسك، وقال ابن منظور في «لسان العرب» المدر: قطع الطين اليابس وقيل: الطين العلك الذي لا رمل فيه. قال: والمدر للحوض أن تسد خصاص حجارته بالمدر، وقيل هو القرمدة الا ان القرمدة بالجص والمدر بالطين وفي «التهذيب» والمدر تطيينك وجه الحوض بالطين الحر لئلا ينشف انتهى.

واذا علم هذا فالظاهر من صنيع المصنف أنه انما عدل عن بيوت المدر الى بيوت الحجر ليوهم بذلك صحة تصوره الفاسد لمعنى الحديث. ولا يخفى مافي تعبيره ببيوت الحجر من تغيير معنى الحديث وما يراد به.

الوجه الرابع: أن بيوت المدر إذا تتابع عليها نزول المطر يومين أو نحوها لا يفتر عنها لا يمسك الماء، بل ينزل منه قطر كثير على من فيها بخلاف بيوت الشعر فان الماء يزل عنها وتكن ساكنيها منه، وهذا شيء معروف عند الحاضرة والبادية، وعلى هذا فالحديث على ظاهره لا على ما تصوره المصنف والله أعلم.

✡ ✡ ✡

فصـل

وقال المصنف في صفحة (١٧ - ١٨) ما نصه :

ومن تلك القنابل التي تلقيها الطائرات للعذاب ماظهر حديثا من القنابل الذرية والهيدروجينية القوية المفعول وهي مع كونها داخلة بطريق الاولى في الآية السابقة فلها ايضا آية تخصها من بين انواع القنابل الاخرى ، قال تعالى في اشراط الساعة (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) فان اهل الدنيا - وهم الكفار وإن ظنوا بما تيسر لهم من المخترعات انهم قادرون عليها اصلاحا وعمارة وتزيينا وهدماً وتخريبا ، لم يقو عندهم هذا الظـن حتى حصـل عندهم القطع أو كاد بانهم قادرون عليها الا بعد حصولهم على القنابل الذرية والطاقة الذرية كما هو معلوم .

وبهـــذا يعلم ان الساعـــة قريبة جـداً وان ظهور اشراطها الكبرى كالمهدي وعيسى عليهما السلام منتظر من يوم لآخر .

وقد يكون المراد قوله تعالى (اتاهـا امرنا ليلا او نهارا) انــه سيسلط اصحاب هذه القنابل بعضهم على بعض فيتحاربون بها ويكون ذلك سبباً في خراب الدنيا وجعلها حصيداً كما قال الله تعالى ، وكما يصفه الواصفون لمفعول هــذه القنابل التي يبدون منها تخوفهم العظيم على الدنيا بأســرها ، ولكن لا تقع هذه الحرب المــؤدية الى ما قال الله تعالى الا بعد خروج المهدي

ونزول عيسى لقتل الدجال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الاخبار ومما هو واقع لامحالة .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : ان هـذا من نمط ما قبله من القرمطة والقول في كتاب الله بغير علم .

الثاني: انالآية منسورة يونسليستواردة فياشراط الساعة كمازعمه المصنف ، وليست فيها دلالة على وجود القنابل الذرية والهيدروجينية بوجه من الوجـوه ، وانما هى مثل ضربه الله تعالى لسرعة زوال الدنيا وانقضائها . ولاخلاف بين المفسرين في هذا .

وهذه الآية كقوله تعـالى فى سورة الكهف (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياحوكان الله على كل شيء مقتدراً)

وقال تعالى في سورة الزمر (ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاما انفي ذلك لذكرى لأولى الالباب)

وقال تعالى في سورة الحديد (اعلموا انما الحيـاةالدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الامـوال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نبـاته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكـون حطاما) .

الوجه الثالث: أن خرابالدنيا بأسرهاوقيامالساعة لا يكون

على أيدي بني آدم بتفجير القنابل القوية المفعول ، كما قد توهمه المصنف وكما يظنه كثير من اهل زماننا ممن قل نصيبهم من العلم النافع، وانما يكون ذلك بالنفخ في الصور كما اخبر الله تعالى بذلك في آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخري فاذا هم قيام ينظرون) . وقال تعالى(ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين) . وقال تعالى (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) وقال تعالى (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون)

وقال تعالى (يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة) قال ابن عباس رضي الله عنهما : الراجفة النفخة الاولى، والرادفة النفخة الثانية . ذكره البخاري في صحيحه ورواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن المنذر ، وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد .

وقال تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس رضي الله عنهما : الناقور الصور . ذكره البخاري في صحيحه ورواه ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، وهكذا قال مجاهد والشعبي وزيد بن اسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن انس والسدي وابن زيد . وقال

تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) والآيات في هذا كثيرة .

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي عنهما ان رسول الله ﷺ قال : « ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا ورفع ليتا » قال واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس » رواه الامام احمد ومسلم ، قال الجوهري : الليت بالكسر صفحة العنق وهما ليتان . وقال ابن منظور في « لسان العرب » وفي الحديث ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا أي أمال صفحة عنقه .

وفي حديث الصور الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر » قلت : يارسول الله وما الصور ؟ قال « قرن » قلت كيف هو ؟ قال « عظيم ، والذي بعثني بالحق ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض ، ينفخ فيه ثلاث نفخات : النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله تعالى اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السموات والارض

الا من شاء الله ، ويأمره فيطيلها ويديمها ولايفتر وهي التي يقول الله تعالى (وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحـــدة مالها من فواق) الحديث بطوله وفيه « ثم يأمر الله اسرافيـــل بنفخة الصعق فيصعق أهـــل السموات والارض إلا من شاء الله » قال ابن كثير هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد .

وروى الحاكم في « مستدركه » عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة ان يؤمر قبل ان يرتد اليه طرفـــه كأن عينيه كوكبان دريان » . قال الحـــاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في تلخيصه : على شرط مسلم .

وروى الامام احمد وابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني من حديث عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (فاذا نقر في الناقـــور) قال قال رسول الله ﷺ « كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ » فقال اصحاب رسول الله ﷺ كيف نقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » قال الهيثمي : فيه عطية العوفي وهو ضعيف وفيه توثيق لين . وقال ابن كثير هو حديث جيد .

وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قـــوله عز وجل (فاذا نفخ في الصور) قال رسـول الله ﷺ « كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهتـــه واصغي بسمعه ينتظر متى يؤمر » قال اصحاب

رسول الله ﷺ كيف نقول يارسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .

وروى الامام احمد ايضا والترمذي من حديث عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الاذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ » فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » قال الترمذي هذا حديث حسن . وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث ابي صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه فذكره بنحوه .

وروى الامام احمد أيضا والطبراني عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وأصغى السمع متي يؤمر » قال فسمع بذلك أصحاب النبي ﷺ فشق عليهم فقال رسول الله ﷺ « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . قال الهيثمي : رجاله وثقوا على ضعف فيهم .

وروى الامام احمد ايضا عن ابي مرية عن النبي ﷺ - او عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ - قال : النفاخان في السماء الثانية ، رأس احدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب ، أو قال: رأس احدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق ينتظران متى يؤمران ينفخان في الصور فينفخان) قال الهيثمي : رواه احمد على شك

فان كان عن ابي مرية فهو مرسل ورجاله ثقات ؛ وان كان عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما فهـو متصل مسند ورجـاله ثقـات .

وروي ابن ماجه والبزار والحاكم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنـه ان النبي ﷺ قال « ملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان » .

وروى الطبراني في الاوسط عن عبد الله بن الحـارث قال: كنت عنـد عائشة رضي الله عنها وعنـدها كعب الحبر فذكر اسرافيـل فقالت عائشة رضي الله عنهـا ياكعب أخبرني عن اسرافيل فقال كعب : عندكم العلم قالت أجل قالت فأخبرني قال له اربعة اجنحة جناحان في الهواء وجناح قدتسربل به وجناح على كاهله، والقلم على اذنه فاذانزل الوحي كتب القلم ثم درست الملائكة وملك الصور جاث على احدي ركبتيه وقد نصب الاخرى فالتقم الصور محني ظهره ، وقد أمر اذا رأى اسرافيل قـد ضم جناحه ان ينفخ في الصور . فقالت عائشة رضي الله عنها : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول ، قال المنذري والهيثمي : إسناده حسن .

وروى الطبراني ايضا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه انه قال : يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينفخ فيه ؛ فلا يبقى خلق من خلق الله الا مات الا من شاء ربك .

وروى الامام احمد وأبو داود والترمـذي وابن حبـان في في صحيحه والحاكم في مستدركه عن عبدالله بن عمرو رضى الله

عنهما قال قال اعرابي يارسول الله ماالصور . قال: « قرن ينفخ فيه » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم والذهبي .

وذكر البخارى في صحيحه عن مجاهد أنه قال الصور كهيئة البوق . ورواه عبد بن حميد باسناده عن مجاهد انه قال الصور شيء كهيئة البوق .

وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : « مابين النفختين أربعون » قالوا : اربعون شهرا ؟ قال ابيت ، قالوا : اربعون سنة ؟ قال أبيت .

وبما ذكرته من الآيات والأحاديث يعلم قطعاأن خراب الدنيا وقيام الساعة انما يكون بأمر سماوي لاصنع للبشر فيه ، ويعلم قطعا بطلان ما يتخرصه المتخرصون من خراب الدنيا وقيام الساعة على ايدي بنى آدم .

فصل

وقال المصنف في صفحة (١٨) مانصه :

ومنها التليفون والتلغراف والراديو ، ويشير الى ذلك قوله تعالى (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) ، بل هو ظاهر فيه .

والجواب عن هذا من وجوه :

احدها : أن يقال هذا من نمط ماقبله من التكلف والتعسف وليس في الآية التي ذكرها ما يشير الى التليفون والتلغراف والراديو بوجه من الوجوه ، فضلا عن ان يكون ظاهراً في ذلك .

الوجه الثاني : أن الآية واردة مع الآيات قبلها في تكذيب كفار قريش للنبي ﷺ ولما جاء به من عند الله ، وسياق الايات واضح في ذلك قال الله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا إلا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين ـ الى قوله ـ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) .

قال مالك عن زيد بن اسلم « ويقذفون بالغيب » قال : بالظن .

قال ابن كثير : هو كما قال تعالى (رجما بالغيب) فتارة يقولون شاعر ، وتارة يقولون كاهن ، وتارة يقولون ساحر ،

وتارة يقولون مجنون، الى غيرذلك من الاقوال الباطلة، ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد ؛ ويقولون ان نظن الا ظنــا وما نحن بمستيقنين .

قال قتادة ومجاهد : يرجمون بالظن لا بعث ولا جنــة ولا نار . وذكر البغوي عن مجاهد أنه قال يرمون محمدا بالظن لا باليقين ، وهو قـولهم ساحر وشاعر وكاهن ، قال ومعنى الغيب هو الظن لانه غاب علمه عنهم . والمكان البعيد : بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا من حيث لايعلمون .

الوجه الثالث . أن التخاطب بواسطة التليفون والتلغراف ليس هو من القذف بالغيب كما توهمه المصنف ، لان القـذف بالغيب هوالقول بالظن والحدس من غير علمويقين ، والتخاطب بواسطة التليفون والتلغراف ليس كـذلك ، وانما هـو في الغالب مخاطبة عن علم ويقين بما يخاطب به المرء صاحبه، وهو في الحقيقة من المخاطبة مشافهة وان كان ذلك بواسطة الآلة الكهربائية .

ونشر الاخبار من الاذاعات هو من هــذا الباب ، الا ما يذاع فيها من النشرات الجوية فهي من الرجم بالغيب ، وكذلك ما يقال بلا علم ويقين فكله من القذف بالغيب .

قال الجوهري : الرجم ان يتكلم الرجل بالظن قال تعالى (رجما بالغيب) . وقال الراغب الاصفهاني : ويستعار الرجــم للرمي بالظن والتوهم نحو (رجما بالغيب) وقال الشاعر :

. . . . وما هو عنها بالحديث المرجم

فصـل

وذكر المصنف في صفحـة (١٩) أن العلم انتشر بسبب الدروس والمحاضرات والمقالات التي تـذاع بالراديو فيسمعها الرجال والنساء والكبار والصغار والعبيد والاحرار .

والجواب أن يقال ليس الامر كمازعمه المصنف من انتشار العلم بسبب الراديو ، وانمـا انتشرت بسببه المـعازف والأغاني الخليعة والمهازل السخيفة وغيرها من انواع الفتن والشرور التي هي اضر شيء على الدين والاخلاق ، فهذه هي التي يتلقاها اكثر المستمعين الى الراديو من رجال ونساء وكبار وصغـار ، وهي الرائجة عند متخذيه إلا من شاء الله منهم .

ولاينكر انه ينشر في بعض الاحيـان من بعض الاذاعـات دروس ومقالات ومحاضرات علمية ولكن لا يستمع اليها الا القليل من متخذي الراديو والمستمعين اليه ، وأما الاكثرون فـلا رغبة لهم فيها ولا في سماعها ، فتراهم عاكفين على استماع المعازف والاغاني والمهازل في غالب او قاتهم ، فاذا جـاءتهم القراءة او الدروس والمحاضرات العلمية اغلقوا الراديو عنها واداروه الى ماهم مفتونون به من مزامير الشيطان وصوته الفاجر .

وبالجملة فالاكثرون في زماننا قد أعرضوا عن العـلم النافـع الى مالا خير فيه من الاذاعات والجرائد والمجلات وما اشبهها من الكتب العصرية ، فهذه هي التي يتنافس فيها الاكثرون ، وعليها في غالب الاوقات يعكفون ، وبسبب ذلك قل العلم النافع وهـو العلم المـوروث عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامـه عليـه ، وظهر الجهل وفشا في جميع الاقطار ، فلا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم .

فصـــل

وقال المصنف في صفحة (٢٠) ما نصه :

ومن الامور العظام التي رأيناها كما قال ﷺ الغواصات، وقد ذكرها الله تعالى أيضا في قوله (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) الآية ، وقد قدمنا الحديث الذي خرجه أحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي وقاص ان النبي ﷺ سئل عن هذه الآية فقال « أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد » فجاء تأويلها بظهور الطائرات الرامية للقنابل والألغـــام والغـواصــــات .

ولما لم يكن في زمن المفسرين شيء من ذلك فسروا العذاب من فوق بالملوك ، ومن تحت الارجل بالعبيد ، ولا يخفى بطلانه ؛ ولكنهم معذورون لأنهم لم يروا ما يصلح ان تطبق عليه الاية كما رأينـا نحن .

والجواب عن هذا قد تقدم قريباً (صفحة ٢٢) عند كلام المصنف على الطائرات الحربية .

وقد بينت هناك ان المراد بقوله تعالى (عـــذابا من فوقكم) الرجم من السماء (أو من تحت أرجلكم) الخسف . وهذا قول أبي بن كعب وأبي العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي مـــالك والسدي وابن زيد وغير واحد من المفسرين ، وهو اصح القولين في تفسير الاية ، ويدل له ما جاء من الاخبار بوقوع القـــذف والخسف والمسخ في آخر هذه الأمة . وهذا هو الذي يصلح ان تطبق عليه الآية ، لا على التكلف الذي لا مستند لقائله إلا مجرد رأيه .

فصــل

وفي صفحــة (٢٠ - ٢٢) تــأول المصنف قــول النبي صلى‌الله عليه وسلم « لا تقوم الساعه حتى تكــلم السباع الانس وحتى تكلم الرجــل عــذبة ســوطه وشراك نعله ، وتخبره فخذه بما احدث اهله من بعده » على السيرك الذي تستخدم فيه الاسود والنمور والفيلة وغيرها من السباع في الالعاب العجيبة والحركات الغريبة ، وانها تخاطب فتفهم ، وتؤمر وتنهى فتأتمر وتنتهي حسب ارادة اللاعب بهــا ، وعلى الكلاب التي تتخذ لاستكشاف اصحاب الجرائم وعلى الفوتوغراف وآلة التسجيل .

والجواب : أن يقال ان ظاهر الحديث يدل على ان السباع تكلم الانس في آخر الزمان كلاما حقيقيا كما وقع ذلك في زمن النبي ﷺ لأهبان بن أوس رضي الله عنه حين كلمه الذئب كلاماً حقيقياً وأخبر النبي ﷺ بذلك فصدقه وأمره ان يحدث به الناس وقال النبي ﷺ «انها امارة من امارات بين يدي الساعة» والحديث بذلك رواه الامام احمد في مسنده باسناد صحيح من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وروى الترمذي بعضه وقال : هــذا حديث حسن غريب صحيح، ورواه الامام احمد ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنــه ، ورواه البيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، و (بنو أهبان) يقال لهم : بنو مكلم الذئب .

وفي الصحيحين ومسند الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة ثم اقبــل علينا بوجهه

فقال « بينا رجل يسوق بقرة اذ ركبها فضربها قالت انالم نخلق لهذا انما خلقنا للحراثة» فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم ؟ فقال «فاني أومن بهذا انا وابو بكر وعمر » وما هما ثم ، « وبينا رجل في غنمه اذ عـــدا عليها الذئب فأخـــذ شاة منها فطلبه فأدركه فاستنقذها منه فقال : ياهذا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لاراعي لها غيري ؟ » قال الناس سبحان الله ذئب يتكلم ؟ فقال « اني أومن بذلك وابو بكر وعمر » وما هما ثم .

وروى البيهقي عن ابي عبد الرحمن السلمي سمعت الحسين بن احمد الرازي سمعت ابا سليمان المقري يقول : خرجت في بعض البلدان على حمار فجعل الحمار يحيد بي عن الطريق فضربت رأسه ضربات فرفع رأسه الي وقال لي اضرب يا أبا سليمان فانما على دماغك هو ذا يضرب ، قال قلت له : كلمك كلاما يفهم؟ قال : كما تكلمني وأكلمك .

والمقصود هنا ان تكليم السباع للانس فيه خرق للعادة وهو مستغرب جدا ولهذا تعجب الصحابة رضى الله عنهم لما اخبرهم النبي ﷺ بكلام البقرة والذئب واستغربوا ذلك .

وأما ماذكره المصنف من استخدام السباع في الالعـــاب العجيبة والحركات الغريبة ، وانهـــا تؤمر وتنهى حسب ارادة اللاعب بهـــا فليس ذلك بمستغرب منهـــا كما يستغرب تكليمها للانس بالكلام الحقيقي .

وكذلك استكشاف الكلاب لاصحاب الجرائم ليس بمستغرب

منها ، وقد ذكر الناس عنها قديما وحديثا من الحكايات العجيبة الدالة على فهمها وقوة ادراكها شيئا كثيرا .

وانما المستغرب منها ان تكلم الناس بالكلام الحقيقي كتكليم الناس بعضهم بعضا ، وهذا لم يوجد الى الآن ، وسيكون ذلك كما اخبر به الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه .

والقول في تكليم عذبة السوط وشراك النعل والفخذ لبني آدم كالقول في تكليم السباع لهم .

وأما تأويل المصنف لذلك بالفونوغراف وآلة التسجيل فهو تأويل بعيد جدا ، وبيان ذلك من وجوه :

أحدها : ان ظاهر الحديث يدل على ان الكلام يكون من نفس العذبة والشراك والفخذ لامن آلة تجعل للكلام ، وفي تأويل ذلك بالفونوغراف وآلة التسجيل صرف للحديث عن ظاهره بغير دليل .

الوجه الثاني : ان تكليم العذبة والشراك والفخذ لبني آدم فيه خرق للعادة وهو مستغرب جدا ولهـذا يكون من أمارات الساعة بخلاف الكلام من الفونوغراف وآلة التسجيل فانه ليس بمستغرب كما يستغرب الكلام من نفس العذبة والشراك والفخذ .

الوجه الثالث : أن النطق من الجمادات قد وجد في زمان النبي ﷺ ، كما في الحديث الصحيح عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث ، إني لأعرفه الآن » رواه الامام احمد

وابو داود الطيالسي ومسلم ، والترمذي وقال هـذا حـديث حسن غريب .

وروى الترمذي ايضـا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

وعن ابي ذر رضي الله عنـه ان رسول الله ﷺ اخـذ في كفه سبع حصيـات أو تسع حصيات فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم اخذهن فوضعهن في كف ابي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يـد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يـد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبي ﷺ « هذه خلافة النبوة » رواه البيهقي .

واذا كان النطق من الجمادات موجودا في زمن النبي ﷺ فغير مستبعد أن يكون ذلك فى آخر الزمان ايضا .

وكما أن في تسليم الجمادات على النبي ﷺ وتسبيحها فى يده وأيدي الخلفاء الراشدين معجزة للنبي ﷺ . فكذلك في نطق العذبة والشراك والفخذ معجزة للنبي ﷺ .

وايضا فقد قال الله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وقال تعالى (حتى اذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء) الآية .

وقال تعالى (يومئذ تحدث اخبارها) وفي الحديث الصحيح ان رسول الله ﷺ قال « أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا :الله ورسوله أعلم ، قال : فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ؛ تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها » رواه الامام احمد والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

واذا كانت الجوارح والارض تنطق يوم القيامة فلا يستبعد النطق من نفس العذبة والشراك والفخذ في آخر الزمان ، والله على كل شيء قدير .

فصل

وفي صفحة (٢٣) ذكر المصنف ما يفعله سائر الدول من جمع السباع وسائر الوحوش فى البساتين للفرجة عليها . قال : وذلك من اشراط الساعة وعلامات قربها ، حتى ان الله تعالى ذكر ذلك في القرآن في اشراط أخرى ضمها الى ما سيقع بعد قيامها ، فقال تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت والحشر الجمع والاختلاط فقد حشرت الوحوش وجمعت في البساتين المعدة لذلك كما قال الله تعالى ، وهو فعل محرم منهي عنه شرعا ــ الى ان قال ــ ويكفي ان الله تعالى جعل ذلك من اشراط الساعة وأنها قائمة عند وجوده فتعلم كل نفس ما أحضرت .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : ان الآية من أول سورة التكوير ليست واردة في اشراط الساعة وإنما هي في أهوال يوم القيامة . وقد تقدم ايضاح ذلك (في ص ١٣) في الكلام على قوله تعالى (واذا العشار عطلت) .

الوجه الثاني : ان ما ذهب اليه في معنى الآية الكريمة مردود، لأنه من تفسير القرآن بمجرد الرأي وذلك لا يجوز . وقد تقدم ان تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام ومتوعد عليه بالوعيد الشديد.

الوجه الثالث : ان ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد

من التابعين فسروا الآية بغير ما ذهب اليه المصنف في معناها ، والعمدة على تفسيرهم لا على رأي المصنف ولا على رأي غيره من المتكلفين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : حشر البهائم موتها ،وحشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة . رواه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في تلخيصه . وكذا قال عكرمة والضحاك : حشرها موتها .

وروى ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خثيم .(وإذا الوحوش حشرت) قال : أتى عليها أمر الله . قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : حشرها موتها .

وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما . (واذا الوحوش حشرت) قال يحشر كل شيء حتى ان الذباب ليحشر . قال ابن كثير : وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد .

وقال قتادة في تفسير هذه الآية : ان هذه الخلائق موافيةيوم القيامة فيقضي الله فيها ما يشاء . رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وقال البغوي في تفسيره : (واذا الوحوش) يعني دواب البر (حشرت) جمعت يوم البعث ليقتص لبعضها من بعض .

قلت : ويشهد لهذا ما رواه الامام احمد في مسنده عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان فقال : « يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان ؟ قال : لا ، قال : لكن الله يدري وسيقضي بينهما » . ورواه عبد الرزاق وابن جرير بنحوه.

وروى عبد الرزاق أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا . وقد روي نحو هذا مرفوعا في حديث الصور الذي رواه الطبراني وغيره ، وهو حديث طويل مشهور .

والمقصود ههنا بيان خطأ المصنف فيما ذهب اليه في معنى قوله تعالى : (وإذا الوحوش حشرت) ،وبيان معنى حشر الوحوش وأنه : موتها كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ، أو جمعها يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض كما قاله آخرون والله أعلم .

الوجه الرابع : ان ظاهر الآية الكريمة يدل على حشر الوحوش كلها ، والوحوش الآن منتشرة في أرجاء الارض ، والذي قد جمعته الدول في بساتينها نزر يسير من بعض أنواع الوحوش لا من كلها ، ومع هذا يقول المصنف : إنها قد جمعت في البساتين المعدة لذلك ، وهذا قول ظاهر البطلان .

فصـــل

وقال المصنف في صفحة (٢٤ ـــ ٢٥) ما نصه :

ومن ذلك بخار الوقود من البترول والجاز التي تستخرج الآن من الارض فتضرم وتوقد في الدنيـا بأسرهـا ، في السيارات والبوابير البرية والبحرية والطائرات والموتورات والفبارك الكبيرة والصغيرة وماكينات الطحن والخبـز والنجارة وغير ذلك ممـا يبلغ مئات الاصناف ، وبوابير الطبـخ في البيـوت وموتورات الإنارة العامة والخاصة وغير ذلك .

وكله مذكور في اشراط الساعة ، وأخبر النبي ﷺ بمعادنه وعين مواضعها وسمى البترول ذهبا كما يسمونه اليوم بالذهب الأسود ، ومن العجيب انه ورد في بعض طرق الحديث تسميته بكنز ليس من ذهب ولا فضة .

قال الله تعالى (والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور) وقـال تعالى (واذا البحار سجرت) اي أضرمت ناراً كما قال علي وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعبيد بن عمير وجمـاعة من أئمة التفسير من السلف .

وغير خاف ان البترول بحار مودعة في الأرض . وقد قدمنا ان أبي بن كعب وابن عباس وأبا العالية وجماعة من السلف قالوا ان هذه في الدنيا قبل يوم القيامة ، قالوا : ذكر الله تعالى في السورة

الكريمة اثنتي عشرة علامة ، ستة منها في الدنيا ، وستة منها في الآخرة . فالتي في الدنيا آخرها (واذا البحار سجرت) ، وما بعدها فهو في الآخرة ، كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

واذ هي في الدنيا وانها من اشراط الساعة ، وهي بحار من الزيوت أودعها الله في بطن الارض منذ خلق الله الدنيـا ، ولم يهيأ استكشافها واستخراجها من الارض لإضرامها وايقادهـا الا في وقتنا هذا الذي ظهرت فيه تلك الاشراط الستة المذكورة كلها ـ كما بيناه في قوله تعالى (واذا العشار عطلت) بالسيارات (واذا الوحوش حشرت) في بساتين الحيوانات ، وسنبين الباقي قريباً ـ : تعين انها المراد .

وأيد بذلك ان البترول يسمى بالذهب الاسود ، وان النبي ﷺ أخبر به ، وأن من المواضع التي سيظهر فيها ارض العراق وارض فارس وارض نجد وما والاها ، كما ورد انه قريب من الحجاز ، وورد تسميته بكنز ليس بذهب ولا فضة فلم يبق شك في انه المراد .

ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يوشك الفرات ان ينحسر عن كنز من الذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا » ، ورواه مسلم في صحيحه من وجه آخر عن ابي هريرة بلفظ « لاتقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب تقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون » .

والجواب عن هذا من وجوه :

احدها : ان الآيات الست من أول سورة التكوير ليست واردة في اشراط الساعة كما زعم ذلك المصنف فيها وتأول لاجل ذلك القرآن على غير تأويله ، كما تقدم ذلك في مواضع من كلامه وكما سيأتي في مواضع اخر منه .

وأما ماروي عن ابي بن كعب وابن عباس وابي العالية ان ست آيات منها في الدنيا ، فالمراد انها من جملة الاهوال التي تكون عند قيام الساعة والناس يشاهدون ذلك ، لا أنها تكون قبل قيام الساعة بزمن طويل كما توهمه المصنف .

قال الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال : ست آيات قبل يوم القيامة : بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس ؛ فبيناهم كذلك اذ تناثرت النجوم ، فبيناهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت ؛ ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض فذلك قوله (واذا الوحوش حشرت) قال : اختلطت (واذا العشار عطلت) قال : اهملها اهلها . (واذا البحار سجرت) قال : قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر - قال - فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتأجج ، قال فبينما هم كذلك إذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك اذ

جاءتهم ريــح فأماتتهم . رواه ابن ابي الدنيا وابن جرير وابن ابي حاتم ، وسياقه ظاهر فيا ذكرنا ، وفيه رد لما زعمه المصنف في تأويل الآيات الست من أول سورة التكوير .

الوجه الثاني : ان ظاهر الآيتين الكريمتين وهما قوله تعــالى (والبحرالمسجور) وقولهتعالى (واذا البحار سجرت) يدل على أن البحر نفسه هو الذي يسجر فيكون كله ناراً ، وبحار الزيوت لم تسجر بالنار ، وانما يضرم مايستخرج منها وهــذا لا يكون تسجيراً لها . وعلى هذا فاستدلال المصنف بالآيتين على ماذهب اليه لاوجه له ، وهو استدلال في غاية البعد والتكلف .

الوجه الثالث : أن البحر انما يسجر عند قيام الساعة ، كما قاله ابي بن كعب رضي الله عنه وغيره . وقيل : انه يسجر يوم القيامة روي ذلك عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعبيد بن عمير وغيرهم . وهذا يرد مازعمه المصنف من انها قد سجرت الآن .

الوجه الرابع : أن البحر الذي يسجر عند قيــام الساعة او يوم القيامة هو البحر الذى على وجه الارض ، وقد تقدم ماروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه في ذلك. وروى ابنابيحاتم عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يكــور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحــاً دبوراً فيضرمها ناراً . قال ابن كثير : وكذا قال عامر الشعبي وهذا يرد مازعمه المصنف في بحار الزيت .

الوجه الخامس : أنه لم يؤثر عن النبي ﷺ انه سمي البترول

ذهبا ، وقول المصنف ان النبي ﷺ سمى البترول ذهباً ، من القول عليه ﷺ بما لم يقله ، وذلك حرام وكبيرة من الكبائر .

الوجه السادس : أن البترول ليس بذهب حقيقة ولا مجازا . وأما تسمية بعض الناس له بالذهب الاسود فليس مرادهم انه نوع من انواع الذهب ، وانما يقصدون انه يحصل من ثمنه الذهب الكثير ، فلذلك يطلقون عليه اسم الذهب الاسود اعتباراً بما يستثمر منه .

الوجه السابع : ان الاثر الذي ذكره المصنف في تسمية البترول بكنز ليس من ذهب ولا فضة ينقض مازعمه من تسميته في الحديث بالذهب .

الوجه الثامن : ان الذي جاء في الحديث الصحيح هو حسر الفرات عن كنز من ذهب ، وفي الرواية الاخرى عن جبل من ذهب ، ومن المعلوم ان بجور الزيت ليست في نهر الفرات وانما هى في باطن الأرض ، وكثير منها يبعد عن نهر الفرات بمسافة بعيدة .

الوجه التاسع : ان الزيت من المعادن السائلة ، والذي اخبر النبي ﷺ بانحسار الفرات عنه هو الذهب المعروف عند الناس وهو من المعادن الجامدة ، ولهذا جاء في بعض الروايات في الصحيح انه ينحسر عن جبل من ذهب . وهذا يرد تأويل من تأوله على معدن سائل ليس بذهب ولا يشبه الذهب .

الوجـــه العاشر : ان النبي ﷺ أخبر أن الفرات يحسر عن جبـــل من ذهب ، أي ينكشف لذهـاب مائه فيظهر الجبـــل بارزاً على وجه الارض ، وهذا لم يكن الى الآن وسيكون فيما بعد بلا ريب . وبحور الزيت لم تنحسر الارض عنهاوانما يستخرجها الناس بالتنقيب عنها من مسافـــة بعيدة في بطن الارض ، واين هذا من ذاك ؟

فـصل

وفي صفحة (٢٥ - ٢٦) :

جزم المصنف أنه لا بد من وقوع الحرب من أجل بترول العراق وإيران ، وأنها سوف تكون بالقنابل الذرية المبيـــدة للبشر .

والجواب :

ان يقال هذا من الرجم بالغيب وقد قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) . والذي سيقع بلا شك هو الاقتتال على جبل الذهب اذا حسر الفرات عنه ، لأن النبي ﷺ اخبر بذلك ، وما اخبر بوقوعه فهو كائن لا محالة .

فصـــل

وفي صفحة (٢٦) :

ذكر المصنف مارواه الامام أحمد من حديث رجل من بني سليم سمع النبي ﷺ قال : « ستكون معـــادن يحضرها شرار الناس » . ثم قال المصنف : فهذه المعادن هي آبار البترول التى ماظهرت الا قرب قيام الساعة الذي هو وقتنا هذا .

قال ويؤكد ذلك قوله ﷺ « يحضرها شرار الناس» فان معادن البترول لايستخرجها ويحضرها الا الكفار الذي هم شرار الناس وقوله ﷺ « يحضرها » هو بضم الياء وفتح الحاء وكسر الضاد المشددة أي يهيئها للاستعمال ويجعلها حاضرة لذلك صالحة لما حضرت له .

والجواب :

أن يقال ان هذا الحديث ضعيف لأنه من رواية رجل من بني سليم عن جده، ورجل من بني سليم: مجهول وعلى تقدير صحته فليس المراد به آبار البترول بخصوصها بل هو عام لها ولمعادن الذهب والفضة وغيرها من المعادن الارضية ، ويدل على ذلك قوله في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما : « تخرج معادن مختلفة » الحـــديث .

وقوله يحضرها شرار الناس هو يفتح الياء وإسكان الحاء وضم الضاد المخففه أي يأتى اليها ويسكن عندها شرار الناس وقد جاء

ذلك صريحا فيا ذكره المصنف من حديث عبدالله بن عمرو ، وأبي هريرة رضي الله عنهما: فأما حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما فقال فيـــه « تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من اشرار النـــاس » رواه الحـــاكم في مستدركه ، وأما حديث ابى هريرة رضي الله عنه فقال فيه قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يسكنها الا أراذل الناس » رواه الطبراني في الأوسط .

والمراد بأراذل الناس الكفار وفساق المسلمين كما هو الواقع الآن ، وليس المراد به الكفار خاصة كما زعم ذلك المصنف .

ثم ان المصنف غير معنى الحديث بما فسربه قوله «يحضرها» ليوافق ما ذهب اليه ، ولا يخفى ان ذلك من تحريف الكلم عن مـــواضعه .



فصـــل

وقال المصنف فى صفحة (٢٧) ما نصه :

ويشير الى البترول ايضا قــوله تعالى (إذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض اثقالهـــا) الآية . فانها أخرجت ملايين الاطنان من البترول والغاز وهو أعظم ثقل فيها عند ما زلزلت اى حركت بالآلات وفتح فيها آبار البترول والغاز ، (وقال الانسان مالها) تعجباً مما تخرجـــه من ذلك ، فعند ذلك تحضر الساعة .

أو (اذا زلزلت الارض زلزالها) الموعود به وهـــو الزلزال الكثير الذي يحـــدث آخر الزمان كما قال النبي ﷺ : « وتكثر الزلازل » كما في أحاديث صحيحة متعددة . وقد صارت تحدث بكثرة في هذا الوقت الذي أخرجت فيـــه الارض اثقالها من البترول . (وقال الانسان مالها) يكثر زلازلها ؟

وهذا كله واقع فيترقب ما بعده فان الزمان بالنسبة الى علم الله تعالى شيء واحد . والله تعالى يجمع بين الأمـــور المتباعـــدة فيسوقها مساقا واحداً لتحقق الجميع وحضوره في علمه سبحانه وتعالى .

والجواب :

ان يقال هذا من التخبيط في القرآن وتأوله على غير تأويله ، وقد قدمنا ان ذلك حرام ومتوعد عليه بالوعيد الشديد .

ويقال ايضا ان السورة واردة في قيام الساعة وما يكـــون

بعد ذلك في يوم القيامة وسياقها يدل على ذلك ، وليس فيها ما يدل على خروج البترول بوجه من الوجوه .

قال البغوي في تفسيره (اذا زلزلت الارض زلزالها) حركت الارض حركة شديدة لقيام الساعة (وأخرجت الارض اثقالها) موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها (وقال الانسان مالها) قيل : في الآية تقديم وتأخير تقديره : يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان مالها : اى تخبر الارض بما عمل عليها .

وقال ابن كثير في تفسيره قال ابن عباس رضي الله عنهما (اذا زلزلت الارض زلزالها) اى تحركت من اسفلها (واخرجت الأرض اثقالها)يعني ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف .

وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وكقوله (وإذا الارض مدت . وألقت ما فيها وتخلت) .

وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما (اذا زلزلت الارض زلزالها) تحركت من اسفلها (واخرجت الارض اثقالها) قال : الموتى (وقال الانسان مالها) قال : يقول الكافر مالها (يومئذ تحدث أخبارها) قال لها ربك قولي فقالت .

وروى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم وابن المنذر عن مجاهد في قوله (واخرجت الارض اثقالها) قال: من في القبور . وروى ابن ابي حاتم عن عطية (وأخرجت الارض اثقالها) قال ما فيها من الكنوز والموتى .

فهذه اقوال المفسرين في تفسير السورة وفيها رد لقرمطة المصنف وإلحاده .

فصـــل

وقال المصنف في صفحة (٢٨) مانصه :

ومن ذلك زوال الجبال عن اماكنها للدواعي الداعية الى ذلك، من تعبيد الطرق للبوابير الحديدية والسيارات وتوسيـــع الطرق وضواحي المدن وغير ذلك، مما هو واقع الآن في كثير من اقطار الارض كما هو مشاهد ومعلوم، قال الله تعالى (واذا الجبال سيرت) وقد قدمنا أن هذا في الدنيا قبل قيام الساعة وتسييرها زوالها من اماكنها .

ثم ذكر ما رواه البزار والطبراني من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تقـوم الساعة حتى تروا أموراً عظـاما لم تكونوا ترونها، وحتي تزول الجبـال عن اماكنها » .

قال وروى أحمد من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن عيسى عليه السلام ليلة الاسراء في ذكر أمارات الساعة وفي آخر الحديث قوله « ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الأديم - ثم قال - ففيما عهد الي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فان الساعة كالحــامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادها ليلا أو نهاراً » .

فهذا النسف غير المذكور في قوله تعالى .(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) الآية فان ذلك بعد قيام الساعة يوم تصير الجبـــال كالعهن المنفوش ، وهذا قبل قيام الساعة بل هـــو من

أشراطها وعلاماتها الدالة على قرب قيامها . ويؤيد هـذا وقوع هذا النسف كل يوم في سائر الدنيا بالالغام والحفر بالآلات ومد الأرض ذات الجبال مد الاديم حتى ينزل عيسى عليه السلام فيجدهم على ذلك .

والجواب عن هذا من وجوه :

احدها : ان يقال ان فتح الطرق في الجبال لا يكون إزالة للجبال ونسفاً وتسييراً لها ومداً للارض مد الاديم ، وهـذا لا يخفى على من له أدنى عقل ومعرفة . واستدلال المصنف على ما ذهب اليه بقول الله تعالى (واذا الجبال سيرت) وبما في حديث سمرة وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما لاوجه له وهو استدلال في غاية البعد والتكلف .

الوجه الثاني : أن يقال ان جبال الارض باقية على حالها مع فتح الطرق فيها . ولو انها قد نسفت وسيرت ومدت الارض مد الاديم - كما زعمه المصنف - لما بقي في الارض جبل بالكلية . بل انا نقول لعله لم ينسف منها ولا جبل واحد، اللهم الا ان تكون آكاما صغاراً تؤخذ أحجارها للحاجة أو تزال عن الطرق فهذا قد يكون موجوداً الآن ولكن لا يعد هذا نسفا للجبال وتسييراً لها ومداً للارض .

الوجه الثالث : أن نسف الجبال وتسييرها ومد الأرض مد الاديم انما يكون يوم القيامة، قال الله تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) ، وقال تعالى (ان يوم

الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكـانت ابوابا . وسيرت الجبـال فكانت سرابا) وقال تعالى (فاذا السماء فرجت . وإذا الجبـال نسفت . واذا الرسل أقتت . لأي يوم أجلت . ليوم الفصل) وقال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا . فيذرها قاعا صفصفا . لاترى فيها عوجا ولا أمتاً . يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) وقال تعالى (القارعة ما القارعة . وما أدراك ماالقارعة . يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش) . وقال تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين . وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) الآية .

وقيل ان تسيير الجبال يكون عند قيام الساعة ، وهو ظاهر ماوراه ابن مسعود رضى الله عنـه عن النبي ﷺ قال « لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فتذاكروا أمر الساعة - فذكر الحديث في خروج الدجال وقتله وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم - قال ثم تنسف الجبال وتمـد الارض مـد الاديم » الحديث رواه الامـام احمـد وابن ماجه وابن جرير ، والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وفي حديث الصور الطويل « ان الله تعـالى يأمر اسرافيل بالنفخة الاولى فيقـول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع اهـل

السموات والارض إلا من شاء الله ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر، فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا » رواه ابن جرير وابن ابي حاتم والطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

الوجه الرابع : أن المصنف قرر نسف الجبال في الدنيا بفعل بني آدم ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى (واذا الجبال سيرت) وبما في حديث سمرة وحديث ابن مسعود رضى الله عنهما ثم قرر نسفاً آخر يكون بعد قيام الساعة وهو المذكور في قول الله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا)

والحق ان النسف انما يكون مرة واحدة وان ماذكر في قوله تعالى (واذا الجبال سيرت) وفي قوله ﷺ عن عيسى عليه الصلاة والسلام «ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الاديم» هو بعينه ماذكر في قول الله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) وغيرها من الآيات التي تقدم ذكرها ، ولا دليل على تعدد النسف والله اعلم .

الوجه الخامس : أن النبي ﷺ قال « من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ (اذا الشمس كورت) و (اذا السماء انفطرت) و (اذا السماء انشقت) رواه الامام احمد والترمذي والحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال الحاكم: صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وهذا الحديث الصحيح يدل على ان نسف الجبال انما يكون يوم القيامة ، وفيه رد لقول المصنف ان ذلك كائن الآن بفعل بني آدم ؛ وفيه ايضا قطع ما تعلق به المصنف من قول الله تعالى (واذا الجبال سيرت) وبيان انه لا وجه لاستدلاله بهذه الآية على وقوع النسف في الدنيا .

فصل

وقال المصنف في صفحة (٢٨ — ٢٩) ما نصه :

ومن ذلك الكهرباء والاستنارة بها في الدور والطرق وفي الاسفار على البوابير والسيارات ، فهي والله أعلم المراد بقوله تعالى (واذا النجوم انكدرت) ، فقد قدمنا عن الصحابة وغيرهم من التابعين أنها من العلامات الواقعة في الدنيا قبل قيام الساعة.

وانكدار النجوم ضعف نورها أو ذهابه بالكلية عند وجود النور الكهربائي والاستغناء به في الطرق والاسفار عن نورها والاهتداء به في ظلمات الليل دونها ، فان الناس قبل ظهور النور الكهربائي ما كانوا يهتدون في ظلمات الليل في الاسفار الا بالنجوم فلما ظهرت الكهرباء انكدرت أنوارها واستغنى الناس عنها ؛ كما عطلت الابل واستغنى الناس عنها أيضا بالسيارات وبوابير السكة الحديدية ، وذكر الله تعالى ذلك أيضا بقوله (واذا العشار عطلت) كما سبق بيانه .

ويؤيد هذا ويزيده وضوحاً ان الله تعالى عبر عن الشمس بالتكوير دون الانكدار وذهاب النور ، لأن أنوار الكهرباء مهما عظمت قوتها لا تؤثر على نور الشمس بل بالعكس فان الشمس هي التي تؤثر في أنوار الكهرباء فلا يظهر لها أثر مع سلطان الشمس بخلاف النجوم .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أن المراد بانكدار النجوم طمسها وانتشارها على وجه الارض كما سيأتي بيانه ، وليس المراد به ما ذهب اليه المصنف من اختفائها عن الابصار بسبب الأنوار الكهربائية ، فان ذلك لا يكون طمسا لها فضلا عن الانكدار . واستدلال المصنف بالآية على ما ذهب اليه لا وجه له ؛ وهو من تأول القرآن على غير تأويله .

الوجه الثاني : أن طمس النجوم وانكدارها انما يكون يوم القيامة ، قال الله تعالى : (فاذا النجوم طمست . واذا السماء فرجت . واذا الجبال نسفت . واذا الرسل أقتت . لأي يوم أجلت . ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل) وقال تعالى: (اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت) .

قال البغوي في تفسيره (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت من السماء وتساقطت على الارض ، يقال انكدر الطائر اذا سقط عن عشه ، قال الكلبي وعطاء : تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع .

وقال ابن كثير في تفسيره (واذا النجوم انكدرت) أي انتثرت كما قال تعالى (واذا الكواكب انتثرت) . وأصل الانكدار : الانصباب ، وقال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما

هم كذلك إذ تناثرت النجوم ... الحديث . رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم وقد تقدم ذكره (صفحة ٥٤)

قال ابن كثير : وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم والحسن البصري وأبو صالح وحماد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جل وعلا (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت . قلت : وقال قتادة انكدرت : تساقطت وتهافتت .

وقد قال أهل اللغة في الانكدار بمثل ما قاله المفسرون في ذلك ، قال الجوهري : انكدر أي أسرع وانقض ، وانكدرت النجوم . وقال الراغب الاصفهاني : الانكدار يعبر عن انتشار الشيء ، قال : (واذا النجوم انكدرت) ، وانكدر القوم على كذا إذا قصدوا متناثرين عليه . وقال ابن منظور في « لسان العرب » : انكدرت النجوم تناثرت . وكذا قال صاحب القاموس وغيره أن معنى انكدرت النجوم تناثرت .

وقد تقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) . وهذا الحديث فيه رد لما تعلق به المصنف من الآية الكريمة .

الوجه الثالث : أن ما ذكره عن بعض الصحابة والتابعين أن الآيات الست في أول سورة التكوير تكون في الدنيا قبل قيام الساعة ، فليس مرادهم ما ذهب اليه من وقوع ذلك قبل قيام

الساعة بزمن طويل ، وإنما مرادهم أن ذلـك يكون عند قيـام الساعة ، وان ذلك من جملة الأهوال التي تكون عند قيامها والناس يشاهدون ذلك .

وأول ذلك ذهاب ضوء الشمس كما في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ، و ذا كان ذهاب ضوء الشمس هو أول ما يقع من الآيات فأي متعلق للمصنف في شيء مما ذكره الله تعالى في أول سورة التكوير ؟

الوجه الرابع : أن الناس لم يستغنوا عن الاهتداء بالنجوم في أسفارهم ، ولاسيما اذا سافروا في الطرق التي لم تعبد فانهم كثيراً ما تشتبه عليهم الجهـة التي يقصدونها فيرجعون الى الاهتـداء بالنجوم . و كذلك جهة القبلة انما يهتدون اليها في النهار بالشمس وفي الليل بالنجوم .

الوجه الخامس : ان الظاهر من كلام المصنف وتقـريره ان تكوير الشمس هو شدة ضوئها وغلبته على الانوار الكهربائية . وهذا خطأ مخالف لما قاله المفسرون في معنى تكوير الشمس .

قال ابن كثير فى تفسيره قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (اذا الشمس كورت) يعنى أظلمت . وقال العوفي عنه : ذهبت . وقال مجـاهد : اضمحلت وذهبت ، وكذا قال الضحاك . وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبـير كورت غورت ، وقال الربيع بن خثيم : كورت رمي بها .وقال

أبو صالح : كورت ألقيت ، وعنه أيضاً نكست . وقال زيد ابن اسلم : تقع في الارض .

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا في ذلك ان التكوير جمع الشيء بعضه إلى بعض ، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها الى بعض ، فمعنى قوله تعالى كورت جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها .

ثم ذكر ما رواه ابن أبي حاتم عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس رضي الله عنهما « إذا الشمس كورت » قال : يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ، ويبعث الله ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً . قال ابن كثير : وكذا قال عامر الشعبي .



فصـل

وفي صفحة « ٢٩ – ٣٢ »

قرر المصنف ان المطـر الذي يكون مع الدجال هو المطـر الصناعي ، وأن ما يكون معه من جبل الخبز ونهر الماء هو مـا يحمله في العربات الحاملة للماء والعربات الحاملة للخبز وماكينات العجين والخبز والطبخ وما اليها مما هـو موجود الآن لدى سائر الدول لاستعمالها في الحروب ، وان ذلك كله بالاسباب العادية التي أجراها الله تعالى على يد غيره واخترعها الافرنج قبل ظهوره فاستعملها هو لدعوته .

والجواب ان يقال : ان الأمور التي تكون مع الدجـال من الأمور الغيبية فلا يقال فيها بمجرد الرأي وانما ينتهى فيها الى ما جاء عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه .

والذي يظهر من الاحاديث ان ما يجريه الله تعـالى على يدي الدجال يكون من خوارق العادات لا من الأسباب العادية التي تعرفها الناس ويستعملونها ، وذلك أعظم الفتنة ، فأما الأمـور التي قد سبقه بها غيره وعرفها الناس فليس في إتيانه بها أمر خارق يفتتن به الناس .

وقد جـاء في الحديث الصحيح « أنه يأمر السماء أن تمطـر فتمطر ، ويأمر الارض أن تنبت فتنبت فتروح سارحة القـوم عليهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعاً وأمـده خواصر »

رواه الامام أحمد ومسلم وأهل السنن الا النسائي من حديث النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه . وهذا شيءخارق للعادة لا من الأسباب العادية التي يعرفها الناس ويستعملونها .

وقد دل هذا الحديث على ان السماء تمطر بمجرد أمره لها أن تمطر ، لا بآلات يستعملها لذلك .

ودل الحديث أيضاً على ان الارض تنبت النبات في الحال من غير آلة يستعملها لذلك ، وان السارحة تروح من يومها وهي طويلة الذري سابغة الضروع ممتدة الخواصر .

وفي الحديث أيضاً أنه « يلبث في الارض أربعين يوماً يوم منها كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة » . وهذا شيء خارق للعادة .

وفي الحديث أيضاً أنه يمر بالخربة فيقول لها : اخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، وأنه يدعو رجلا ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك . وفي الحديث الآخر أن له حماراً يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً . وهو حديث صحيح وقد تقدم ذكره . وهذا كله من خوارق العادات ، لا من الأسباب التي يعرفها الناس ويستعملونها .

ولهذا كانت فتنة الدجال أعظم فتنة تكون في الدنيا ، كما في سنن ابن ماجة عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ قال : « لم تكن فتنة في الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال ، وان الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال » .

وفي المسند وصحيح مسلم عن هشام بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما بين خلق آدم الي قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » . وفي رواية « أمر أكبر من الدجال » .

ولما كانت فتنته أعظم الفتن أمر النبي ﷺ بالاستعاذة منها في كل صلاة ، وحذر منه وأنذر في عدة أحاديث . وفي المسند وسنن أبي داود عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع بالدجال فلينأ عنه » ـ وفي رواية لأحمد : يقولها ثلاثا ـ فو الله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات » .

ولو كان مامع الدجال من الاسباب العادية التي يعرفها الناس ويستعملونها لكان شأنه كشأن سائر الدول التى تصنع المخترعات العجيبة وتستعملها ولم يكن للتحذير منه بخصوصه كبير فائدة .

فصل

وفى صفحة (٣٣ - ٣٤) :

تأول المصنف ماجاء في حديثي ابن مسعود وابي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة » على آلات الرصد التي يرى بها الهلال عند أول ظهوره .

ولا يخفى :

أن الحديث ضعيف ، ولو صح لكان محمولا على ظاهره . لا على وجود آلات الرصد اذ لا غرابة في ذلك والله اعلم .

فصـــل

وقال في صفحة (٣٨) ما نصه :

ومن ذلك زينة الارض وحضارتها بتعبيد الطرق وإحداث الشوارع واضاءتها بالانوار ووجودالابنية الطويلة ذات الطبقات المتعددة وغير ذلك من أنواع الزينة والحضارة . وقد ذكر الله تعالى ذلك من اشراط الساعة الدالة على قربها جداً فقال تعالى (حتى اذا اخـــذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) .

والجواب :

أن يقال إن هذه الآية ليست واردة في اشراط الساعـــة كما زعمه المصنف ، وانمـــا هي مثل ضربه الله تعالى لزهرة الحيـــاة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها : بالنبات الذي يخرجه الله تعالى من الأرض بالماء الذي ينزله من السماء . ولهـــذه الآية نظائر في سورة الكهف وسورة الزمر وسورة الحـــديد وقـــد ذكرتها فيما تقدم .



فصل

وقال المصنف في صفحة (٥٠) ما نصه :

إخباره ﷺ بالاهمال الواقع من النجديين للمدينة المنورة الذي سيؤول بها الى الخراب .

روى احمد وابو داود من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : « عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال » .

فعمران بيت المقدس قد ابتدأ وظهر إن لم يكن تم بانشاء دولة اليهود فيه فانهم عمروه ولا زالوا جادين في عمارته .

والمدينة المنوره في طريق الخراب ، لمحاربة القرنيين لها وسعيهم في القضاء عليها بعدم التفاتهم اليها والى اصلاحها ، مع اهمالهم لاهلها ومعاكستهم لمن يريد الاقامة بها وصرفهم النظر عن سكانها وعدم مساعدتهم ومد يد المعونة اليهم ، لتخرب ولا يبقى بها ساكن ولا مجاور لسيد الخلق ﷺ ، بغضاً منهم في جانبه الشريف واعتقاداً منهم - قبحهم الله - أن زيارته وتعظيمه بدعة وضلال ، فهم يسعون لذلك في خرابها حتى ينصرف الناس عن المجاورة والزيارة . وخرابها كما ترى من اشراط الساعة .

والجواب عن هذا من وجوه :

احدها : أن ما ذكره عن النجديين من الاهمال للمدينة وأهلها الى آخر كلامه الذي اقذع فيه فكله كذب وبهتان .

وكل من رأى حال المدينة وأهلها في هـذا الزمان يعلم حقاً جراءة هـذا الصوفي على الكذب والبهتان وإسرافه في ذلك ، وقـد قيل :

لي حيـلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيـه قليله

وقال بعض السلف يفسد الكـذاب والنمام في ساعة مالا يفسد الساحر في سنة .

والكـذب من كبائر الاثم وقـد قال الله تعالى (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) . وقال تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) وقال تعالى (ان الذين اتخـذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) قال ابو قلابة هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة .

وروى الامام احمـد والشيخان وابو داود والترمذي عن عبـد الله بن مسعود رضي الله عنـه قال قال رسول الله ﷺ «عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكـذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

وروى ابن حبان في صحيحه عن ابي بكر الصديق رضى الله

عنه قال قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالصدق فانه مع البر ، وهما في الجنة . واياكم والكذب فانه مع الفجور ، وهما في النار»
وروى الطبراني في الكبير باسناد حسن عن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « عليكم بالصدق فانه يهدي الى البر ، وهما في الجنــة واياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور وهما في النار » .

وروى الامام احمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ما عمل الجنــة ؟ قال « الصدق إذا صدق العبد بر وإذا بر آمن ، واذا آمن دخــل الجنة » قال يارسول الله وما عمل النار قال « الكذب: إذا كذب العبد فجر وإذا فجر كفر وإذا كفر دخل » يعني النار .

وروى الامام احمد ايضا والبخاري في صحيحه عن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال «أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني ـ فذكر الحديث وفيه ـ فانطلقت معهما فأتينا على رجل مستلق لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حــديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه الى قفــاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه ـ قال ـ ثم يتحول الى الجــانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجــانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجــانب حتى يصح الاول كما كان، ثم يعــود فيفعل به مثل ما فعــل به المرة الأولى ـ قال ـ قلت سبحان الله ما هــذان؟ ـ قال ـ قالا لي : انطلق انطلق ـ الحــديث وفي آخره ـ وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه الى قفـاه وعيناه الى قفاه

ومنخراه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكـذبة تبلغ الآفاق » .

وروى الترمذي في جامعه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به » : قال الترمذي هذا حديث حسن جيد غريب .

وروى الامام احمد عن ابي امامـة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يطبع المؤمن على الخـلال كلها الا الخيـانة والكذب » وروى البزار وأبو يعلى نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

وروى الامام احمد ايضـا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : يا أيها الناس إياكم والكذب فان الكذب مجـانب للايمان . ورواه البيهقي مرفوعا وقال : الصحيح انه موقوف .

وروى مالك عن صفوان بن سليم مرسلاقال قيل : يارسول الله ايكون المؤمن جبانا ؟ قال نعم ، قيل : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم : قيل له : أيكون المؤمن كذابا قال : لا .

وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « آية المنافق ثلاث . إذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفي رواية لمسلم : « آية المنـافق ثلاث وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » ورواه الامام أحمد ولفظه قال : « ثلاث من كن فيه فهـو منافق ، وان صام وصلى وزعم أنه مسلم : من اذا حدث كذب ، واذا وعـد اخلف ، وإذا أوتمن خان اسناده صحيح على شرط مسلم .

وفي الصحيحين والمسند والسنن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر» .

وروى ابو يعلى وابو الشيخ الاصبهاني عن انس رضي الله عنه ان رسول ﷺ قال « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وحج واعتمر وقال اني مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، وإذا اؤتمن خان » .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى كان يقال : أس النفاق الذي بني عليه : الكذب .

والأحاديث في ذم الكذب والتحذير منه كثيرة ، وفيما ذكرته كفاية .

ومما يؤسف له صدور الكذب والبهتان من المصنف مع دعواه لنفسه مرتبة الكمال في آخر كتابه ، وأنه من القائمين بكتاب الله الداعين اليه سراً وعلانية فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الوجه الثاني : أن المدينة كانت في زمان ولاية الترك عليها كسائر القرى المتأخرة في أنواع العمارة والتنظيم ؛ وكان السكان فيها قليلا والخراب في بيوتها كثيراً لقلة من يمر بها في غير وقت الحج .

ولما ولي عليها أهل نجد جعلوها هي ومكة ، نصب أعينهم

وموضوع عنايتهم ، فكانوا يهتمون بهما وبأهلها أعظم من اهتمامهم بعاصمة ملكهم التي كانوا يسكنون فيها وبأهلها حتى صارت المدينة الآن من المدن الكبار في السعودية ، متباعدة الاطراف كثيرة السكان معموراً اكثرها بأحسن العمارة الحديثة ومنظمة بأحسن التنظيم .

وقد زاد التجديون في المسجد النبوي منذ سنوات أكثر من مثله في ولاية الترك على المدينة ، ولا يزال مع ذلك يضيق بالمصلين فيه ، والخيرات في المدينة كثيرة جداً وأهلها في نعمة عظيمة ورخاء من العيش وافر وأمن وطمأنينة .

وقد كثر الوافدون اليها في كل وقت ، وخصوصاً لما عبدت الطرق اليها فلا تزال في كثير من الأوقات مزدحمة بالسكان والوافدين . فان كان المصنف لم يرها في الوقت الحاضر فليقدم اليها ولينظر اليها حتى يعلم بطلان ما قاله فيها وفي أهلها وفيمن لهم الأمر فيها .

الوجه الثالث : ان عمران بيت المقدس ، الذي جاء ذكره في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ليس هو بتضخيم البناء وزخرفته وتنظيمه على الأشكال الحديثة كما توهمه المصنف ؛ وإنما عمرانه بظهور الايمان وطاعة الله تعالى فيه ؛ وإزالة الشرك والبدع وسائر المنكرات منه ، وهذا لم يكن الى الآن ، وسيكون ذلك فيما بعد إذا كانت الخلافة في الارض المقدسة قبل خروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام .

كما في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذكر الدجال ، وفيه : فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال « هم قليل ،وجلهم يومئذ ببيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح . فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليقدم عيسى يصلي ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فانها لك أقيمت ، فيصلي بهم إمامهم . . . » الحديث . رواه ابن ماجه .

وروى الامام أحمد وأبو داود والبخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي ـ أو على هامتي ـ ثم قال : «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام ، والساعه يومئذ أقرب الى الناس من يدي هذه من رأسك » قال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وقد قال الله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) . وقال تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) . وفي هاتين الآيتين دليل على ان العمارة في الحقيقة إنما هي بالايمان واعلاء كلمة الله ، وان الخراب كل الخراب بضد ذلك .

ويدل على ذلك أيضاً حديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك ان يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام إلا اسمه ، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه ، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء ، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود » رواه البيهقي في « شعب الايمان » ، وذكره الامام احمد في كتاب الصلاة مختصراً.

وذكر الامام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال توشك القرى ان تخرب وهي عامرة ، قيل : وكيف تخرب وهي عامرة ؟ قال : إذا علا فجارها أبرارها ، وساد القبيلة منافقها . ورواه أبو موسى المديني في كتاب « دولة الأشرار » .

واذا علم هذا فاليهود لم يعمروا بيت المقدس كما زعمه المصنف ، وإنما هم مخربون له ، ولا زالوا جادين في تخريبه حتى تنزل الخلافة فيه وتطهره منهم ومن اخوانهم من المشركين والمنافقين .

الوجه الرابع : ان بغض الرسول ﷺ من نواقض الاسلام فمن أبغضه ، او أبغض شيئاً مما جاء به ، فهو كافر ، وقد حكى شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى الاتفاق على هذا .

ومع هذا فقد زعم هذا الصوفي الملحد في آيات الله تعالى ان النجديين يبغضون الرسول ﷺ ، ويعتقدون ان زيارته ومجاورته وتعظيمه بدعة وضلال .

والجواب عن هذه الفرية أن نقول : سبحانك هـــذا بهتان عظيم . وقد قال بهذه الفرية قبله غير واحد من سلفه وأشباهه من أهل الزيغ والالحاد ، ورد عليهم المحققون من أهــل نجــد وغيرهم بما يشفي ويكفي .

وقد قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ، ليعيبـــه به ، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه » رواه الطبراني ، قـــال المنذري : واسناده جيد . وفي رواية له « أيما رجل أشاع على رجـل مسلم بكلمة وهو منها بريء ، يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبـــال حتى يخرج مما قال » رواه الامام أحمد وأبو داود والطـبراني وزاد : « وليس بخارج » .

وكلام المصنف في زيارة النبي ﷺ وتعظيمه : فيه اجمال .

فان كانت الزيارة بغير سفر فلا خلاف في جوازها ، وليس أحد من علماء النجديين يمنع منها ، فضلا عن ان يعتقدوها بدعة وضلالا كما زعمه المصنف كذباً وافتراء عليهم .

وان كانت الزيارة تحتاج الى سفر فهي داخلة فيما نهى عنه الرسول ﷺ من شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة كما في الصحيحين والمسند والسنن ـ الا الترمذي ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، ومسجد الأقصى » هذا لفظ البخاري ، وفي رواية لمسلم « انما يسافر الى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ، ومسجدي ، ومسجد ايلياء » .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري» قوله لا تشد الرحال بضم اوله بلفظ النفي والمراد النهي عن السفر الى غيرها قال الطيبي : هو أبلغ من صريح النهي ، كأنه قال لا يستقيم ان يقصد بالزيارة الا هذه البقاع ، لاختصاصها بما اختصت به ، وكنى بشد الرحال عن السفر لأنه لازمه ، وخرج ذكرها مخرج الغالب في ركوب المسافر ، والا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير والمشي في المعنى المذكور ، ويدل عليه قوله في بعض طرقه : « انما يسافر » انتهى .

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدي » هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «لا تشدوا الرحال إلا الى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » .

ورواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي سعيد وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : الى المسجد الحرام ، والى المسجد الاَقصى ، والى مسجدي هذا » . وروى الطبراني في الصغير عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الاقصى » .

وفي الموطأ والمسند وسنن النسائي عن بصرة بن أبي بصرة رضي الله عنه انه قال لأبي هريرة رضي الله عنه ـ وقد أقبل من الطور ـ : لو أدركتك قبل ان تخرج اليه لما خرجت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تعمل المطي إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . وقد رواه الامام احمد ايضاً وأبو داود الطيالسي والبخاري في التاريخ الكبير من حديث ابي بصرة رضي الله عنه ،بنحوه.

وقد تحصل من ألفاظ هذه الاحاديث ثلاث صيغ : النفي ، والنهي ، والحصر ، وكل واحدة من هذه الصيغ تفيد انه لا يجوز السفر الى زيارة شيء من القبور ولا المساجد والاماكن المعظمة سوى المساجد الثلاثة . وباجتماع هذه الصيغ الثلاث يزداد المنع شدة ، والله اعلم .

وإذا كان شد الرحال الى زيارة القبور معصية للنبي ﷺ فما ذنب النجديين إذا نهوا عن ذلك واعتقدوه بدعة وضلالا عن

الصراط المستقيم ، فليس النجديون بمخطئين في نهيهم عن الزيارة البدعية ، وإنما المخطىء الأثيم من أجازها وارتكب ما نهى عنه الرسول ﷺ من شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة ، فخالف بذلك قول الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

واما تعظيم النبي ﷺ : فان كان ذلك بما أمر الله به ، من طاعته ومحبته واحترامه وتوقيره واتباع أوامره واجتناب نواهيه، فذلك واجب على كل مسلم ، وجميع المؤمنين من النجديين وغيرهم على هذا المذهب ، وليس احد من مؤمني اهل نجد يخالف في هذا ؛ فضلا عن ان يعتقدوه بدعة وضلالا كما زعم ذلك المصنف كذباً وافتراء عليهم .

وان كان تعظيمه ﷺ بما نهى عنه من الغلو فيه وإطرائه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، واتخاذ قبره عيداً والالتجاء اليه في قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات كما يفعله كثير من المفتونين بالقبور ، فذلك ضلال عن الصراط المستقيم . ومن اعتقد ذلك بدعة وضلالا فهو المصيب ، ومن أنكر عليه فهو التائه الضال ، والله أعلم .

واما تسمية المصنف للنجديين بالقرنيين ، فمراده أنهم هم قرن الشيطان الذي أخبر النبي ﷺ بطلوعه . وسيأتي الجواب عن هذا ان شاء الله تعالى عند قوله في صفحة (٧٦) : «ولما طلع قرن الشيطان بنجد» . والله المستعان ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فصــل

وقال المصنف في صفحة (٥١) ما نصه :

روى الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك ، من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال : قال رسول الله ﷺ « سيكون بعدي سلاطين ، الفتن على أبو ابهم كمبارك الابل ، لا يعطون أحداً شيئاً الا أخذوا من دينه مثله » . فسلاطين الفتن هم الموجودون في هذا العصر لا من كان قبلهم ، بدليل قــوله ﷺ : « على أبوابهم كمبارك الابل » لان هذا وصف السيارات ومواقفها ، ولم يوجد ذلك الا فى عصرنا هذا على أبواب ملوك الوقت الذين هم منشــأ الفتن القائمــة الآن في سائر الأقطــار الاسلامية كما هو معلوم .

ويؤيد ذلك ايضا ذكره لبعضهم ووصفه ﷺ اصحابه بالوصف الذي لم يكن موجوداً قبل وقتنا هذا ، فروى الطبراني في الكبير من مرسل عبدالله بن رباح قال قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يؤمر عليهم الرويجل فيجتمع اليه قوم محلقة أقفيتهم بيض قمصهم ، فاذا أمرهم بشيء حضروا » فالقــوم المحلقة أقفيتهم هم العصريون المتفرنجــون الذي يلبسون القمص تحت الملابس الافرنجية أيضا ويحلقون اقفيتهم تشبها بالكفار ، وهم الملتفون حول سلاطين الوقت اهل الفتن . أما من كان قبل هذا العصر فلم يكن فيهم قوم محلقة أقفيتهم ولا على ابوابهم كمبارك الابل .

والجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أن حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ضعيف جداً لأن في اسناده « حسان بن غالب » قال الدار قطني ضعيف متروك ، وكـــذا قال الذهبي والهيثمى انه متروك ، وذكره ابن حبان فقال : شيخ من اهل مصر يقلب الأخبار ، ويروي عن الاثبات الملزقات لاتحل الرواية عنه الا على سبيل الاعتبار . وفيه ايضا « ابن لهيعة » ، وهو ضعيف . وعلى هذا فليس هذا الحديث بشيء ولا يعتمد به .

الوجه الثاني : لوقدرنا صحة هذا الحديث فهو عام لسلاطين الفتن في هذا الوقت ولمن كان قبلهم من زمان بني أمية الى يوم القيامة وليس فيه مايدل على تخصيص اهل هذا العصر بذلك .

وأما استدلال المصنف على ما ذهب اليه بقوله على أبوابهم كمبارك الابل ، وأن هذا وصف السيارات ومواقفها على أبواب ملوك الوقت فهو استدلال في غاية البعد والتكلف ، اذ ليس بين الابل وبين السيارات شيء من المشابهة .

وايضا فانه قال في الحـــديث « الفتن على ابوابهم كمبارك الابل » والمبارك : آثار الابل في الارض لا أجسام الابل والمعنى ان الفتن على ابوابهم كثيرة تشبه في كثرتها آثار الابل التي تناخ عند أبوابهم . ولو كان الامر على ماذهب اليه المصنف لقال على ابوابهم كالابل البروك أو الابل المناخة .

وأما الحديث الآخر الذى ذكره المصنف عن عبد الله بن رباح . فصوابه : «عبد الله بن وراح » براء ثقيلة ثم حاء مهملة، هكذا ضبطه الحافظ ابن حجر في « الاصابة » . وهو معدود في الصحابة فحديثه متصل وليس بمرسل .

وقد ظهر مصداق حديثه في زمنه بل فيه نفسه وفي جزء بن سهيل السلمي رضي الله عنه :

قال جبير بن نفير : كان عبدالله بن وراح قديماً له صحبة ، وحدثنا ان النبي ﷺ قال « يوشك أن يؤمر عليكم الرويجل ، فيجتمع عليه قوم محلقة أقفيتهم بيض قمصهم ، فاذا أمرهم بشيء حضروا » ثم ان عبدالله بن وراح ولي على بعض المدن ،فاجتمع اليه قوم من الدهاقين محلقة أقفيتهم بيض قمصهم ، فكان إذا أمرهم بشيء حضروا فيقول : صدق الله ورسوله . رواه الطبراني ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات .

وعن جبير بن نفير أيضاً قال : قال ابن حوالة رضي الله عنه كنا عند رسول الله ﷺ فشكوا اليه الفقر والعري وقلة الشيء ، فقال النبي ﷺ « أبشروا فوالله لأنا لكثرة الشيء أخوف عليكم من قلته ، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح لكم جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن حتى يعطى الرجل المائة فيسخطها » قال عبد الله بن حوالة : ومتى نستطيع الشام مع الروم ذات القرون ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ليفتحها لكم ويستخلفكم فيها حتى تظل العصابة منهم ، البيض قمصهم ، المحلقة أقفاؤهم ،

قياماً على الرويجل الأسيود منكم، ماأمرهم بشيء فعلوه ، وان بها اليوم رجالا لأنتم أحقر في أعينهم من القردان في أعجاز الابل »
رواه الطبراني باسنادين قال الهيثمي : رجال احدهما رجال الصحيح غير نصر بن علقمة وهو ثقة وقد رواه البيهقي بنحوه وزاد : قال أبو علقمة نصر بن علقمة سمعت عبد الرحمن بن جبير ابن نفير يقول : فعرف أصحاب رسول الله ﷺ نعت هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي ، وكان على الأعاجم في ذلك الزمان ، فكانوا إذا رجعوا من المسجد نظروا اليه وإليهم قياماً حوله، فيعجبون لنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفيهم، ورواه ابن عساكر في تاريخه وثابت بن قاسم فى الدلائل بنحوه وزادا ـ بعد قوله وكان على الأعاجم ـ : وكان أسود قصيراً ، فكانوا يرون تلك الأعاجم وهم حوله قيام،لا يأمرهم بشيء الا فعلوه ، فيتعجبون من هذا الحديث .

وفي هذا الحديث والذي قبله رد لما ذهب اليه المصنف في معنى حديث عبد الله بن وراح رضي الله عنه ، وان المراد به العصريون المتفرنجون الذين يلبسون القمص تحت الملابس الافرنجية ويحلقون أقفيتهم تشبهاً بالكفار .

وفيهما أيضاً رد لقوله أن الوصف المذكور في حديث عبدالله ابن وراح رضي الله عنه لم يكن موجوداً قبل وقتنا هذا ، وأن من كان قبل هذا العصر لم يكن فيهم قوم محلقة أقفيتهم .

فصـل

وفي صفحة (٥٢) :

ذكر المصنف إنشاء دولة اليهود ، وان دولتهم إنما كونها لهم الانجليز والامريكان ، وان الله تعالى أخبر بذلك في قوله تعالى (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبـل من الله وحبـل من الناس) قال : فالحبل هو العهد والسبب ، والناس هم الانجليز والامـريكان .

ثم ذكر ان النبي ﷺ أشار الى ذلك في حديث معاذ السابق قريباً حيث قال « عمران بيت المقدس خراب يثرب » الحديث. قـال : وبيت المقـدس ما عمـر تمام العمارة الا بعـد انشاء دولة اليهود .

والجواب عن حديث معاذ وكلام المصنف عليه قـد تقدم قريباً (في صفحة ٨٠) فليراجع .

وأما قوله أن الناس الذين قال الله تعالى فيهم (وحبـل من الناس) هم الانجليز والامريكان . فهو من القول في القـرآن بمجرد الرأي ، وذلك حرام .

وجوابه : ان يقال ان الآية عامة لكل من كان اليهود تحت ولايتهم فى قديم الدهر وحديثـه ، من ملوك اليـونان والروم

والفرس فيما قبل الاسلام ، ثم ملوك المسلمين بعد ذلك ، وغيرهم من ملوك النصارى الذين كانت طوائف اليهود عندهم ، فانهم بعد ضرب الذلة عليهم لم يكونوا يأمنون إلا بحبل من الله، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم ، وحبل من الناس أي أمان منهم لهم .

وليست الآية نازلة في الانجليز والامريكان ، ولا خاصة فيهم ، كما توهمه المصنف .

فصل

وفي صفحة (٥٤ — ٥٥) :

تخبيط كثير في شأن المصريين زعم فيه المصنف أنهم هم الذين قال فيهم النبي ﷺ « لا تزال طائفة على الحق ظاهرين على من ناوأهم ، كالاناء بين الأكلة ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » . وأنهم الذين قال فيهم النبي ﷺ « لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الاردن أنتم شرقيه وهم غربيه » قال : وهذا قد تحقق الآن في المصريين مع الانجليز والفرنسيين واليهود والامريكان .

ثم ذكر تخبيطاً كثيراً حاصله تأييد ما ذهب اليه من أن المصريين هم الطائفة المنصورة ، وأنهم هم الذين يقاتلون الدجال وجنده اليهود . قال : وفي هذا بشارة لهم بالايمان والعصمة من فتنة الدجال وأن الله تعالى سيظهر لهم كرامة ، وهي كلام الشجر والحجر معهم فيقول الشجر والحجر للمؤمن : يا عبد الله هذا كافر ورائي فتعال فاقتله . قال: والمؤمن من جيش مصر والاتحاد العربي فدل على بقاء ايمانهم في ذلك الوقت ، وأن فتنته غير ضارة بهم الا من شاء الله خذلانه .

والجواب عن هذا من وجوه :

احدها : ان يقال ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال، واذا عرضنا اعمال الكثيرين

من المصريين الآن على ما يأمر به الايمان ويقتضيه وجدنا بينهم وبين الايمان كما بين المشرق والمغرب ، بل أبعد من ذلك بكثير.

الوجه الثاني : أن الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة ، وقد سئل النبي ﷺ عن الفرقة الناجية من هم ؟ فقال : «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» ، وهذا يدل على بعد المصريين عن وصف الطائفة المنصورة غاية البعد ، وذلك لمخالفتهم لمنهاج الرسول ﷺ وبعدهم عما كان عليه هو وأصحابه غاية البعد .

وبيان ذلك من وجوه :

١ ــ أحدها : ان الله تعالى بعث رسوله ﷺ بالتوحيد ، وأمره بمحق الاوثان وجميع المعتقدات التي يتعلق بها المشركون من دون الله تعالى . وقد خالف المصريون هذا فغلوا في القبور غلواً عظيما ، واتخذوا كثيرا منها أوثانا تعبد من دون الله،ولاسيما مشهد البدوي ومشهد الحسين والرفاعي والدسوقي والحنفي ونفيسة وزينب وأمثالهم من المعتقدين المعبودين من دون الله .

وقد رأيت في بعض الصحف المصرية منذ سنوات ان الزوار للبدوي في يوم مولده بلغوا خمسمائة الف تقريباً ، وأنه تزوج في ذلك المجمع عشرة الآف تقريباً ، وختن فيه من الاطفال أكثر من ذلك ، يرجون بذلك البركة من البدوي . وهذا هو نفس ما بعث النبي ﷺ بمحقه ومجاهدة أهله .

ولولا خشية الاطالة لذكرت كثيراً مما يفعله المصريون عند

القبور وغيرها من المواضع التي يعتقدون فيها النفع والضر ، وما يصرفونه لبعض الأموات من خصائص الربوبية والألوهية .

٢ ـــ ثانيها : ان المصريين قد نبذوا حكم الشريعـــة وراء ظهورهم ، واعتاضوا عنه بالقوانين الوضعية التي هي من حكم الطاغوت والجاهلية ، وزعموا أن الحكم بالشريعة يؤخرهم عن اللحاق بدول الكفر من الافرنج واضرابهم . وقد قال الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) . وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وقـال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وقـال تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) .

٣ ـــ ثالثها : افتتانهم بالاشتراكية الخبيثة التي شرعها لهـم الشيوعيون ، وزعمهم كذبا وزوراً أنها من دين الاسلام . وهي من أعظم الظلم الذي حرمه الله تعالى في كتـــابه وعلى لسان رسوله ﷺ .

٤ ـــ رابعها : قتـــالهم لأهل اليمن بغـــير سبب شرعي ، وضربهم بالقنابل ، وإلقائها أيضاً على المستضعفين في القـــرى مـن شيوخهـم ونسائهم واطفـالهم . وهـــذا من أعظـم البغي والعـــدوان .

٥ ــ خامسها : تركهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلية .

٦ ــ سادسها : تقليدهم لدول الافرنج ، واتباع سننهم حذو النعل بالنعل في كل شيء حتى فى قبائحهم ورذائلهم .

٧ ــ سابعها : انتهاكهم لكثير مما حرمه الله ورسوله ، وقد تواترت الاخبار بما فشى وظهر عندهم من كبائر الاثم ، ولا حاجة الى تفصيل أنواع ذلك ، إذ لا فائدة في ذكرها وهي معلومة عند كل عاقل نبيه .

واذا كان الأمر كما ذكرنا عنهم ــ مع أنه أعظم مما ذكرنا بكثير ــ وعلم أنهم بعيدون غاية البعد عما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ، فهل يقول عاقل بعد هذا أنهم هم الطائفة المنصورة ؟ كلا ، لا يقول هذا عاقل ، وإنما يقوله من أعمى الله بصيرته .

الوجه الثالث : أن المصنف نقض ما ادعاه في المصريين ، فقال في صفحة (٨٢) من كتابه مانصه : وبسبب هؤلاء الملاحدة المارقين انتشر الكفر والالحاد حتى بين طلبة علم الدين فصاروا أكفر من طلبة المدارس ، وألحد من رؤوس هؤلاء الزنادقة، تقليداً لهم وعملا بدعايتهم، وصارمعهد القرويين معهداً للالحاد والكفر بالله ومحاربة القرآن والسخرية من العقائد الاسلامية ، والاستهانة بالدين وبأشرف الخلق ﷺ ، مع تعظيم شأن الملاحدة ومشاهير الكفار ، حتي صاروا يمنعون المدرس أن يستدل بالقرآن أو يذكر النبي ﷺ باسم الرساله ، ويأمرونه

اذا ذكره أن يقول : « قال محمد » فقط بل صار المدرس منهم ينادي بأن تفكيره هداه الى ان دين الاسلام غير صحيح ، وأنه حر في عقيدته ، في امثال هذا مما هو معروف .

أما الصلاة فهم ابعد الناس منها وهي أبغض شيء اليهم ، وهكذا كان حال طلبة الازهر بالنسبة الى الصلاة ، فكنت ترى الناس يصلون وهم يأكلون ويمزحون ويمرحون ويضحكون . انتهى كلامه .

فانظر الى ماذكره عن طلبة الازهر من تضييع الصلاة والاستخفاف بشأنها ، وإذا كان هذا حال الطلبة فما الظن بغيرهم ؟ وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » رواه الامام احمدومسلم وأهل السنن وغيرهم من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . ولفظ مسلم . « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » .

وروى الامام احمد وابنه عبد الله والترمذي والنسائي وابن ماجه والدار قطني والآجري عن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . وصححه ايضا ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه . والاحاديث في تكفير تارك الصلاة كثيرة جدا وليس هذا موضع ذكرها .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا إسلام لمن ترك الصلاة وفي رواية: لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة. رواه مالك وغيره. والآثار عن الصحابة في تكفير تارك الصلاة كثيرة جد، اوليس هذا موضع ذكرها.

واذا كان طلبة الأزهر قد أضاعوا عمود الاسلام وأعظم أركانه بعد الشهادتين فهم لما سوى ذلك من شعائر الاسلام أشد تضييعا ! !

وقد روى مالك في الموطأ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عماله: إن اهم أموركم عندي الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لماسواها أضيع.
وروى ابو نعيم في الحلية من طريق الاوزاعي قال كتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى الى عماله: اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الاسلام أشد تضييعا.
واذا علم هذا فمن أبطل الباطل أن يقال فيمن أضاع الصلاة واستخف بها أنهم هم الطائفة المنصورة !!

وقال المصنف ايضا في صفحة (٨٤) ما نصه: حدثني شيخنا شيخ الديار المصرية وعالمها الشيخ محمد بخيت قال لما قامت الحركة الوطنية عقب الحرب العظمى السابقة، واتحد هؤلاء المارقون مع الأقباط ليطالبوا بالاستقلال كان مقر اجتماعهم وقطبهم الجامع الازهر ومنه كانت تنظم المظاهرات فكان يحمر بالاقباط، والقسس منهم يصعدون الى المنبر خطباء مناوبة مع

المصريين قال وذات يوم كان المسمى مصطفى القاياتي ، وهو من المدرسين في الازهر - والقائل أن سعداً أفضل من النبي ﷺ وأنه جاء بما لم يأت به النبي ﷺ وأنه رسول الوطنية - كان هذا اللعين حاضراً معهم ؛ فاخذ الصليب ووضعه في محراب الازهر ، وقام لعنه الله خطيباً ، فدعا الى اتحاد الاسلام والنصرانية القبطية ؛ ودعا الحاضرين الى صلاة ركعتين جميعاً - مع وضع الصليب في المحراب - وكبر وصلى ركعتين والصليب امامه يصلى له ولله معا في زعمه ، لعنه الله تعالى .

قال المصنف وقد شاهدت كثيراً من اجتماعاتهم في الازهر وخطبهم ، فكان الازهر يكون كأعظم سوق مختلطاً باليهود والنصاري والملاحدة والفسقه ، والخطباء منهم يعلون المنابر واحداً تلو الآخر . انتهى كلامه .

واذا كان الجامع الازهر - الذي هو قطب العلم والدين عند المصريين ، والذي هو الموضع المرموق المحترم عند المصريين وعند غيرهم من الدول الاسلامية - قد انتكس الى هذه الحالة السيئة التى ذكرها المصنف عن مشاهدته ومشاهدة شيخه محمد بخيت ، فكيف يصح مع هذا أن يقال انهم على الايمان وإنهم الطائفة المنصورة ؟ ! هذا لايقوله من يعلم مايقول .

وقال المصنف ايضا في صفحة (١٠٨ - ١٠٩) ما نصه : وقد نبذت الدولة التركية أواخر أيام اسلامها الحكم بالفقه الاسلامي المأخوذ من الشريعة أو من القواعد المنسوبة اليها

على الأقل ، وصارت تحكم بالقانون المأخوذ عن الانجاس الأرجاس الذين قال الله فيهم (إن هم الا كالأنعام بل هم أضل) ، واتخذت ذلك في بلادها والبلاد التي كانت تحت حكمها - ومنها الديار المصرية - فانها أول من أسست المحاكم الأهلية ، فكفرت بذلك كفراً صراحاً ، في حال ادعائها الاسلام وحماية حماه ، ووجود الخلافة الاسلامية فيها ، قبل ان تعلن الكفر والانسلاخ من الاسلام . انتهى كلامه .

فانظر الى تكفيره الدولة التركية لما حكمت بالقوانين ونبذت الحكم بالشريعة المحمدية وراء ظهورها ، وانظر الى حكمه للمصريين بالايمان وأنهم هم الطائفة المنصورة ! ! مع أنهم قد حكموا بالقوانين ونبذوا حكم الشريعة وراء ظهورهم . وهذا تناقض قبيح واتباع للهوى ، ونظر الى الاتراك بعين البصيرة والى المصريين بعين العمى .

ويلزمه ان يحكم في حق المصريين بما حكم به في حق الأتراك ، لاتحاد سبب الحكم في كل من الدولتين ، وان لم يفعل فهو داخل في حكم هذه الآية : (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) .

الوجه الرابع : ان الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة .

وجزم البخاري في صحيحه أنهم أهل العلم ، وقال أيضاً : « باب قول الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة » وهم : أهل العلم .

وقال الترمذي في جامعه : قال محمد بن اسماعيل قال علي بن المديني هم أصحاب الحديث . وكذا قال ابن المبارك وأحمد بن سنان وابن حبان وغيرهم ، وبوب عليه ابن حبـان في صحيحه فقال : « ذكر اثبات النصرة لأصحاب الحديث الى قيام الساعة » ثم ساق ما يدل على ذلك . وقـال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل : ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ، رواه عنهما الحاكم في « علوم الحديث » ، وقال القاضي عياض : إنما اراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث .

وعن عـلي بن المديني رواية أنهم العرب ، واستدل بحديث « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » . قال والمراد بالغرب الدلو، أي العرب لأنهم أصحابها لا يستقي بها أحد غيرهم ذكره يعقوب بن شيبة ونقله عنه صاحب «المشارق» وغيره.

قلت : ويؤيد ذلك ما رواه ابن مـاجه من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وسيأتي ذكره قريباً ان شاء الله تعالى .

وقال النووي : يحتمل ان هذه الطائفة مفـرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد ، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير . ولا يلزم ان يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في اقطار الأرض انتهى .

وقد اختلف في محل هذه الطائفة ، فقال ابن بطال انها تكون في بيت المقدس ، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة رضي

الله عنه قيل : يا رسول الله اين هم ؟ قال : « بيت المقدس » .
وقال معاذ رضي الله عنه : هم بالشام .

وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب ان تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً ، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمدبن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى : قلت يشهد له الواقع وحال اهل الشام واهل بيت المقدس من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الاسلام ابن تيمية وأصحابه ـ في القرن السابع وأول الثامن ـ فانهم في زمانهم على الحق يدعون اليه ويناظرون عليه ويجاهدون فيه ، وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة الى الحق والتمسك بالسنة؛ والله على كل شيء قدير .

ومما يؤيد هذا ان اهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده ، لم يكونوا في محل واحد ، بل هم في غالب الامصار : في الشام منهم أئمة ، وفي الحجاز ، وفي مصر وفي العراق ، واليمن ، وكلهم على الحق ، يناضلون ويجاهدون أهل البدع ، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً لاهل السنة وحجة على كل مبتدع .

فعلى هذا فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق ، وقد تكون في الشام وقد تكون في غيره ، فان حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام ، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الازمان لا في كلها .

قلت : الظاهر من حديث أبي أمامة وقول معـاذ ان ذلك إشارة الى محل هذه الطائفة في آخر الزمان ، عند خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .

والدليل على ذلك : ما رواه ابن ماجه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه في ذكر الدجال ، وفيه فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال « هم قليـل ، وجلهم يومئذ ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، فرجع ذلك الامام ينكص يمشي القهقرى ليقدم عيسى يصلي ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها لك أقيمت ، فيصلي بهم إمامهم » الحديث .

ويدل له ايضاً : ما رواه الامام أحمد وأبو داود والبخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الله بن حوالة الازدى رضي الله عنه قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي — أو على هامتي — ثم قال : « يا ابن حوالة » اذا رأيت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة ، فقد دنت الزلازل والبلابل والامور العظام ، والساعة يومئذ أقرب الى النـاس من يدي هذه من رأسك » قال الحاكم : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وفي المسند ايضا وجامع الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «ستخرج نار من حضرموت

ـ أو من نحو بحر حضرموت ـ قبل يوم القيامة ، تحشر الناس ، قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ فقال : عليكم بالشام » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي المسند ايضا وسنن أبي داود ومستدرك الحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها الغوطه ، فيها مدينة يقال لها دمشق ؛ خير منازل المسلمين يومئذ » قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في تلخيصه . ولفظ أبي داود « ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة ، الى جانب مدينة يقال لها دمشق ، من خير مدائن الشام » .

قال المنذري في « تهذيب السنن » قال يحيى بن معين ـ وقد ذكروا عنده احاديث من ملاحم الروم فقال يحيى ـ ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث صدقة بن خالد عن النبي ﷺ انه قال « معقل المسلمين ايام الملاحم دمشق » انتهى .

ففي هذه الاحاديث دليل على ان جل الطائفة المنصورة يكون بالشام في آخر الزمان ، حيث تكون الخلافة هناك ، ولا يزالون هناك ظاهرين على الحق حتى يرسل الله الريح الطيبة فتقبض كل من في قلبه ايمان ، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ان النبي ﷺ قال « حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » قال معـاذ : « وهم بالشام » يعني أنهم يكونون بالشام حين يأتي أمر الله وهو هبوب الريح الطيبة .

فأما في زماننا وما قبله فهذه الطائفة متفرقة في أقطار الارض كما يشهد له الواقع من حال هذه الأمة منذ فتحت الامصار في عهد الخلفاء الراشدين الى اليـــوم ، ولا يختص بها مصر من امصار المسلمين دون المصر الآخر.

ولكنها تكثر في بعض الاماكن أحيانا ويعظم شأنها ويظهر أمرها ببركة الدعوة الى الله تعالى وتجديد الدين ، كما وقع ذلك في الشام في زمان شيخ الاسلام ابن تيمية وأصحابه رحمة الله عليهم، وكما وقع ذلك في الجزيرة العربية في زمان شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب واولاده وأحفاده رحمة الله عليهم أجمعين ، ولم يزل أهل الجزيرة العربية في بركة من تجديدهم الى اليوم .

الوجه الخامس : ان الذين يقاتلون في الملاحم التي ستكون في آخر الزمان ويقاتلون الدجال ايضا هم العرب : من سكان الجزيرة العربية . وليسوا بالذين ينتسبون الى العربيـة ، وهم بعيدون من ارضها ، ولم يتحقق نسبهم اليها .

والدليل على ذلك : ما رواه الحاكم في مستدركه عن حسان ابن عطية عن ذي مخمر - رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو ابن اخي النجاشي - انه سمع رسول الله ﷺ يقول « تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزون انتم وهم عدواً من ورائهم ، فتنصرون وتغنمون وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول ، فيقول قائل من الروم : غلب الصليب ، ويقول قائل من المسلمين : بل الله غلب ، فيتداولانها بينهم فيثور المسلم الى صليبهم وهو منهم غير

بعيد فيدقه ، فيثور الروم الى كاسر صليبهم فيقتلونه ، ويثور المسلمون الى اسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله عز وجل تلك العصابه من المسلمين بالشهادة ، فيقول الروم لصاحب الروم : كفيناك حد العرب ، فيغدرون فيجتمعون للملحمة ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً » قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي في تلخيصه .

والمقصود من هذا الحديث قول الروم لصاحبهم . كفيناك حد العرب ، وانهم يغدرون ويجتمعون للملحمة ، وهذا يدل على ان الملحمة الكبرى تكون بين العرب وبين الروم ، واسم العرب اذا أطلق فانما يراد به سكان الجزيرة العربية لا غيرهم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق او بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار اهل الارض يومئذ ، فاذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : ان المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون - وذلك باطل - فاذا جاؤا الشام خرج ، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمهم ، فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو

تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته»

وروى ابن ماجه والطبراني والحاكم في مستدركه عن عمرو ابن عوف رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : «لا تقوم الساعة حتى تكون رابطة من المسلمين ببولان ، يا علي ـ قال المزني يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ قال : لبيك يا رسول الله ، قال : اعلم أنكم ستقاتلون بني الاصفر، ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين ، ثم يخرج اليهم روقة المسلمين أهل الحجاز الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير» الحديث . قال ابن الأثير وابن منظور : فيخرج اليهم روقة المؤمنين أي خيارهم وسراتهم ، وهي جمع رائق ، من راق الشيء : اذا صفا وخلص .

وفي هذا الحديث والحديث قبله : دليل على أن أهل الجزيرة العربية هم الذين يقاتلون في الملاحم ويقاتلون الدجال .

وفي الصحيحين ومسند الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال في بني تميم : «هم أشد أمتي على الدجال» وبنو تميم: قبيلة كبيرة من قبائل العرب في الجزيرة العربية.

وفي المسند أيضا عن عكرمة بن خالد قال : حدثني فلان من أصحاب النبي ﷺ قال : نال رجل من بني تميم عند رسول الله ﷺ يوما فقال : «لا تقل لبني تميم إلا خيرا فانهم أطول الناس رماحا على الدجال» اسناده صحيح على شرط مسلم.

وروى البزار في مسنده عن أبي هريرة رضي الله قال عنه : قال رسول الله ﷺ ـ رذكر بنى تميم فقال ـ « هم ضخام الهام ، ثبت الاقدام ، نصار الحق في آخر الزمان ، أشد قوماً على الدجال » .

وفي سنن ابن ماجه عن ابي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فكان اكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال ـ فذكر الحديث بطوله وفيه ـ فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال « هم قليل ، وجلهم يومئذ ببيت المقدس ، وامامهم رجل صالح فبينما امامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم عيسى بن مريم ، فرجع ذلك الامام ينكص يمشي القهقرى ليقدم عيسى يصلي ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول : تقدم فصل فانها لك أقيمت ، فيصلي بهم امامهم ، فاذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب ؛ فيفتح ووراءه الدجال ، معه سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج ، فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هاربا ، ويقول عيسى عليه السلام : ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها ، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود ؛ فلا شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي ، الا انطق الله ذلك الشيء ، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة ـ الا الغرقدة فانها من شجرهم لا تنطق ـ الا قال : يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله » .

قال الجوهري : الساج الطيلسان الأخضر والجمع سيجان .

وقال ابن منظور في « لسان العرب » الساج الطيلسان الضخم الغليظ، وقيل هو الطيلسان المقور ينسج كذلك ، وقيل هو طيلسان اخضر ، وقال ابن الاعرابي : السيجان الطيالسة السود واحدها ساج . والغرقد هو العوسج ، قال النووي : الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس ، وهناك يكون قتل الدجال واليهود ، وقال أبو حنيفة الدينوري : اذا عظمت العوسجة صارت غرقدة .

وفي هذه الاحاديث دليل على ان العرب هم الذين يقاتلون الدجال وجنده اليهود ، وفيها رد لما زعمه المصنف في غيرهم من بني الاقباط واصناف الاعاجم ، والله اعلم .

الوجه السادس : ان المصريين لم ينتصروا على الانجليز ومن أعانهم في حربهم مع المصريين كما زعم ذلك المصنف ، وانما قامت الروس بحمايتهم ومنع الانجليز ومن معهم من محاربتهم بعد ان اخذوا منهم بعض النواحي وكادوا يستسلمون للانجليز بدون قيد ولا شرط .

وقد كافأ المصريون صنيع الروس معهم بقبول مذهبهم الخبيث في الاشتراكية ودعاء المسلمين الى قبول هذا المذهب الخبيث .

فصـــل

وقال المصنف في صفحة (٦٣ ـ ٦٤) ما ملخصه :

اخباره ﷺ بتعلم اللغات الافرنجية واختلاف ألسن العرب بحسب الدول المستعمرة لبلادهم ، فطائفة تتكلم بالفرنسية ، واخرى بالاسبانية وأخرى بالانجليزية ، واخرى بالروسية ، وغـيرها من ألسن الدول المستعمرة .

روى الطبراني في الاوسط والكبير من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «اذا ظهر القول وخزن العمل ، واختلفت الألسن ، وتباغضت القلوب ، وقطع كل ذي رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فاصمهم وأعمى أبصارهم» .
وقد ذكر المصنف هـذا الحديث ايضا بهذا اللفظ في صفحـة (١٠٥) ونسبه للأوسط فقط .

ثم قال : فاختلاف الألسن المذكور في الحديث انما المراد به اختلاف ألسن العرب باللغات الافرنجية ، والا فاختلاف ألسن الخلق موجود من يوم نشر الله نسل آدم عليه السلام في الارض .

ثم قال عن اللغة العربية انها هي أساس الاسلام .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : ان الحديث الذي أورده قد وقـع فيه تحريف في الكلمة التي استدل بها على تعلم اللغات واختلاف الألسن . والظاهر

أنه نقله من مجمع الزوائد المطبوع في القاهرة فى سنة ١٣٥٣ من الهجرة النبوية ، فانه فيه كذلك ، وهو تحريف بلا شك إما من الذين طبعوا الكتاب واما من بعض النساخ قبلهم .

والحديث قد رواه الامام احمد في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان رضي الله عنه موقوفا ، ورواه الحسن بن سفيان وابو نعيم وابن عساكر عن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا ظهر القول وخزن العمل ، وائتلفت الألسن ، واختلفت القلوب ، وقطع كل ذي رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

وقال الطبراني : حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن الفرافصة عن أبي عمر البصري عن سلمان رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « اذا ظهر القول وخزن العمل ، وائتلفت الالسنة وتباغضت القلوب ، وقطع كل ذي رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » هذا لفظ الحديث عند الطبراني ، والعبرة بهذا اللفظ لا بما حرف في مجمع الزوائد .

وقد روى ابن أبي الدنيا نحوه عن الحسن مرسلا قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل ، وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب ، وتقاطعوا في الارحام ، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمي أبصارهم » .

وقد تبين مما ذكرنا أنه لا اشارة في الحديث لما ذكره المصنف

من تعلم اللغات الافرنجية واختلاف ألسن العرب بذلك ، وأنه انما بنى كلامه في هذا الفصل على كلمة محرفة .

الوجه الثاني: ان اختلاف ألسن بني آدم انما كان بعد الطوفان قال علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم ، وانهم كانوا فيها مائة وخمسين يوما ، وان الله وجه السفينة الى الجودي فاستقرت عليه ، فهبط نوح الى اسفل الجودي فابتنى قريةوسماها ثمانين ، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها اللسان العربي ، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ،فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم .

فأما قول المصنف ان اختلاف الالسن موجود من يوم نشر الله نسل آدم في الأرض فهو قول لا دليل عليه ، ويلزم عليه ان يكون بنو آدم لصلبه مختلفين في اللسان لكل واحد منهم لغة غير لغة أخيه ، وهذا قول بعيد جدا بل ظاهر البطلان ، والله أعلم .

الوجه الثالث : ان اساس الاسلام شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن أتى بها من عربي أو عجمي حكم باسلامه ولو كان العجمي لا يعرف اللغة العربية . ولو كان الامر على ما زعمه المصنف من أن أساس الاسلام اللغة العربية لما صح لاحد من الاعاجم اسلام حتى يتعلم اللغة العربية ، وهذا قول معلوم البطلان بالضرورة .

فصــل

وقال المصنف في صفحة (٦٦ وما بعدها) ما ملخصه :

اخباره ﷺ بالعصريين الملاحدة الزنادقة وذكره أوصافهم التي هم عليها الآن . ثم ذكر حديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الاسنان سفهاء الاحلام ، يقولون من خير قول البرية لا يجــاوز ايمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجراً لمن قتلهم » وذكر ايضا حديث ابن مسعود رضي الله عنه بنحو حديث علي رضي الله عنه.

ثم قال : فهؤلاء الاحداث المذكورون هم هذا الشباب الفاسد الكافر الملحد المارق من الدين : الى آخر كلامه فيهم .

ثم قال : وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز وأخبر أنهم كافرون غير مؤمنين: فقال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وذكر جميع الآيات الواردة في المنافقين في أول سورة البقرة الى قوله (ان الله على كل شيء قدير)

ثم قال فهذه الآيات يزعم كثير من المفسرين انها نازلة في المنافقين وليس كما زعموا ، بل هي نازلة في هؤلاء الملاحــدة المفسدين ، كما بينته في كتابي : « بيان غربة الدين ، بواسطــة العصريين المفسدين » من وجوه تزيد على العشرين كلها قاطعة في تحقيق نزولها فيهم ، وان المنافقين انما ادخلهم المتقدمون فيها لانه

لم يكن أمامهم غيرهم ، فكانت الضرورة داعية لهم الى تنزيلها عليهم ، كما فعلوا في آيات اخرى واردة في هذا الزمان فحملوها على ما كان موجودا في زمانهم ؟ كما قدمناه في قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) . وكما فعلوا في قوله تعالى (حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت) الآية وغيرها .

قال: والمقصود ان هذه الآية لم تنزل في المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ ، وانما هي نازلة في هؤلاء المنافقين المارقين الملاحدة المتفرنجين , الذين ولدهم الاستعمار الكافر وانتجتهم مدارسه الافرنجية للقضاء على الاسلام

والدليل على ذلك امور :

ثم ذكر ما روي عن سلمان رضي الله عنه في قوله تعالى (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون) قال سلمان : لم يجيء اهل هذه الآية بعد قال : وقد قال ابن جرير يحتمل ان سلمان رضي الله عنه اراد بهذا ان الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فساداً من الذين كانوا في زمن النبي ﷺ : لا أنه عنى انه لم يمض ممن تلك صفته احد . قال المصنف وليس كذلك ، بل مراد سلمان ان اهل هذه الآية سيكونون في آخر الزمان ، وليس المراد بها احدا ممن كان في عصر النبي ﷺ ، لانها لا يمكن ان تنطبق عليهم الا بتأويل وتكلف بخلاف اهلها النازلة فيهم من ملاحدة هذا العصر وشبابه الفاسد فانها منطبقة عليهم حرفاً حرفاً ، قال : ولم يبق ادنى شك في انهم المراد من الآيات المذكورة .

قال : والثاني — وهو من الادلة القاطعة — : ان كلمة مصلح لم تتداول ولم يعرف الاكثار من ذكرها : بل ولا ذكرها مطلقـا الا عند ظهور هذا النشء الفاسد المارق ، فلا تسمع كلمة مصلح من مؤمن بالله ورسوله، وانما تسمعها منهم حتى صارت شعاراً لهم.

فتعين ان الآية نازلة فيهم لا في منافقي عصر النبي ﷺ، فانه لم ينقل عنهم انهم كانوا يقولون انهم مصلحون، ولا نقل عن واحد منهم كلمة مصلح .

قال : والثالث انه لم ينقل عن المنافقين انهم كانوا يفسدون في الارض ولا كان لهم كثـرة وانتشار حتى يقـال أنهم افسدوا في الارض ، وانما الذين ملؤوا الارض فسادا هم المارقون الملاحدة.

قال : وأما منافقو زمانه ﷺ فلم يحصل منهم فساد في البقعة الصغيرة التي كانوا بها مطلقـا ، فضلا عن ان يحصل منهم في الارض ، بل ما صدر منهم مما يسمى فسادا في الارض مقـدار شعرة بالنسبة لثور مما صدر من هؤلاء ، بل لم يصدر من أولئك فساد اصلا الا ما كان في نفوسهم من الكفر القاصر عليهم ، وهو النفاق ، فكيف يمكن حمل الآية عليهم وهم ابرياء منها .

ثم قال : فأقسم بالله تعالى ان الله تعالى ما أراد بالآيات الا هؤلاء المارقين وانه لو رآهم المفسرون من السلف لقطعوا بذلك ورجعوا عن تنزيلهم الآيات على منافقي عصر النبي ﷺ .

ثم اطال الكلام في الذب عن المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ ، وذكر أنه لم يحصل منهم خداع لمؤمن واحد ، وان

المثلين المذكورين في أول سورة البقرة لا ينطبقان عليهم، وإنما ينطبقان على ملاحدة العصريين وزنادقتهم .

ثم قال : ان النبي ﷺ سماهم مارقين من الدين أي خارجين منه بعد ان كانوا داخلين فيه ، والمنافقون لم يدخلوا فيه يوماً ما، فتعين ان هؤلاء هم المراد في الآيات الكريمة .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : ان الأحاديث التي ذكرها عن علي وابن مسعود وأنس وأبي ذر ورافع بن عمرو وأبي سعيد رضي الله عنهم كلها واردة في الخوارج الذين قتلهم علي رضي الله عنه يوم النهروان، وليست واردة في ملاحدة العصريين وزنادقتهم كما توهمه المصنف .

وكل من جاء بعد أهل النهروان وهو على شاكلتهم فعموم الأحاديث الواردة فيهم يشمله معهم .

وقد جاء في بعض الروايات التي ذكر المصنف أطرافاً منها أن النبي ﷺ قال في الخوارج « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم » وليست حال ملاحدة العصريين كذلك ، فان الغالب عليهم الجفاء والتفريط في أمور الدين كالصلاة والصيام وغير ذلك من انواع العبادة . وأما الخوارج فالغالب عليهم الغلو والافراط والتعمق في الدين .

وأيضاً فقد جاء في بعض الروايات ان النبي ﷺ قال : « آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة تدردر » وقد وجد هذا الرجل مع الخوارج يوم النهروان .

وعلى هذا فلا ينبغي حمل الأحاديث الواردة في الخوارج على ملاحده العصريين وزنادقتهم وان كانوا مثل الخوارج أو شراً منهم ، لأن في حملها على الملاحدة وصرفها عن الخوارج صرفاً لها عن المراد منها ، وذلك نوع من الكذب على رسول الله ﷺ .

الوجه الثاني : من عجر المصنف وبجره تبرئته للمنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ مما نزل فيهم من الآيات في أول سورة البقرة وإقسامه على ذلك . وتبرئتهم أيضاً من الإفساد في الارض وأنه لم يصدر منهم فساد أصلا ولا حصل منهم خداع لمؤمن واحد.

وهذا خطأ كبير وغلط فاحش يستغرب صدوره من رجل مسلم فضلا عمن يدعي العلم والكمال كما سيأتي في آخر كتابه

الوجه الثالث : ان النبي ﷺ لما جادل عن بعض المنافقين ظاناً براءته مما رمي به من السرقة نهاه الله تعالى عن ذلك وأمره بالاستغفار مما فعل ، فقال تعالى ﴿إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا﴾

ولا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة ان المصنف قد جادل عن المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ أشد الجدال ،

حيث برأهم مما نزل فيهم من القرآن وبرأهم من الافساد في الارض ومن الخداع بالكلية ، فالواجب عليه الرجوع عما قال والاستغفار مما فعل .

الوجه الرابع : ان المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء التفسير أجمعوا على نزول الآيات من أول سورة البقرة في المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ . وقد خالفهم المصنف فبرأ المنافقين منها بغير مستند صحيح ، فكان الأمر فيه كما قال الشاعر :

خلافاً لقولي من فيالة رأيه
كما قيل قبل اليوم خالف لتذكرا

قال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى في الكلام على قول الله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) : أجمع جميع أهل التأويل على ان هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم .

ثم وروى باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يعني المنافقين من الاوس والخزرج ومن كان على أمرهم .

قال ابن كثير : وكذا فسرها بالمنافقين من الأوس والخزرج أبو العالية والحسن وقتادة والسدي .

قال ابن جرير : وقد سمي في حديث ابن عباس هذا اسماؤهم عن أبي بن كعب ، غير أني تركت تسميتهم كراهة إطالة الكتاب بذكرهم .

قلت قد ذكر اسماءهم محمد بن اسحاق في السيرة ، وكذلك ابن هشام وغيره ممن صنف في السيرة .

وقال البغوي في تفسيره نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم ، حيث أظهروا كلمة الاسلام ليسلموا من النبي ﷺ وأصحابه، واعتقدوا خلافها .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن صدر سورة البقرة الى المائة منها نزل في رجال اسماهم باعيانهم وأنسابهم، من أحبار يهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج ،
قال ابن جرير : كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم .

وروى ابن جرير أيضاً عن قتادة في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين — حتى بلغ — فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال هذه في المنافقين .

وروى ابن جرير أيضاً عن مجاهد قال : هذه الآية الى ثلاث عشرة في نعت المنافقين .

وروى ابن جرير أيضاً من طريق اسماعيل السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين): هم المنافقون . وروي ابن جرير أيضاً عن الربيع بن أنس في قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر — الى — فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم) قال هؤلاء أهل النفاق .

واذا كان ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من أكابر السلف قد صرحوا بأن الآيات من أول سورة البقرة نزلت في المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم ، فلا ينبغي العدول عن قولهم الى ما خالفه من أقوال المتخرصين المتكلفين .

الوجه الخامس : ان المصنف لم يكتف بمخالفة المفسرين الذين ذكرنا أقوالهم حتى زعم أنهم حملوا الآيات من أول سورة البقرة على غير من نزلت فيهم ، وأنهم فعلوا مثل ذلك في قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وفي قوله تعالى (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) الاية وغيرها مما تقدم ذكره .

وهذا ايضاً خطأ كبير من المصنف حيث قضى بصواب نفسه فيما فسره من الآيات بمجرد رأيه ، وقضى بخطأ حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من أئمة السلف لما خالفت أقوالهم رأيه ومذهبه .

وهذا من قلبه للحقيقة وعكسه للقضية ، فان الصواب في الحقيقة ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومن قال بقوله في تفسير الآيات من أول سورة البقرة ، وأنها نزلت في المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ . وكذلك القول في الآية من سورة يس ، والآية من سورة يونس ، وغيرهما مما تقدم ذكره ، فالصواب فيها ما ذكرنا هناك عن أئمة السلف ، والخطأ ما قاله المصنف فيها وفي الايات من سورة البقرة بمجرد رأيه .

الوجه السادس : ان الله تعالى ذكر عن المنافقين أنهم قالوا

إنما نحن مصلحون . قال ابن عباس رضي الله عنهما : اي قالوا إنما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين واهــل الكتاب . رواه ابن جرير وذكر تعالى ايضا عن الاسرائيلي انه قال لموسى. (وما تريد ان تكون من المصلحين) . وفي هاتين الايتين رد لقول المصنف ان كلمة مصلح لم تتداول ولم يعرف ذكرها مطلقا الا عند ظهور النشء الفاسد المارق .

واما قوله انه لم ينقل عنهم انهم كانوا يقولون انهم مصلحون ولا نقل عن واحد منهم كلمة مصلح . فجوابه ان يقال قد ذكر الله ذلك عنهم في كتابه ـ ومن أصدق من الله حديثا؟ ومن أصدق من الله قيلا ؟ ـ وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما وغــيره من المفسرين انها نزلت في المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم فلو ان المصنف اكتفى بما أخبر الله به في كتابه عن المنافقين، وبما قاله حبر الأمة وغيره من اكابر التابعين في ذلك لكان خيراً له من الاعتماد على مجرد رأيه .

الوجه السابع : ان الله تعالى ذكر الافساد عن المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ، وذكر انهم يخادعون الله والذين آمنوا. وهذا يرد ما نفاه المصنف عنهم من الافساد والخداع .

قال ابو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى : « وخداع المنافق ربه والمؤمنين : إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قبله من الشك والتكذيب ، ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله عز وجل اللازم من كان بمثل حاله من التكذيب ، لولم

يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والاقرار ، من القتل والسباء ، فذلك خداعه ربه واهل الايمان بالله .

فان قال قائل : وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعا وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد الا تقية ؟

قيل : لا تمتنع العرب من أن تسمي من أعطي بلسانه غير الذي هو في ضميره تقية لينجو مما هو له خائف ، فنجا بذلك مما خافه مخادعاً لمن تخلص منه بالذي اظهر له من التقية ، فكذلك المنافق سمي مخادعاً لله وللمؤمنين بأظهاره ما أظهر بلسانه تقية مما تخلص به من القتل والسباء والعذاب العاجل ، وهو لغير ما أظهر مستبطن ، وذلك من فعله ـ وان كان خداعاً للمؤمنين في عاجل الدنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادع لأنه يظهر لها بفعله ذلك بها أنه يعطيها أمنيتها ، ويسقيها كاس سرورها . وهو موردها به حياض عطبها ، ومجرعها به كاس عذابها ومزيرها من غضب الله وأليم عقابه مالا قبل لها به ، فذلك خديعته لنفسه ظناً منه ـ مع اساءته اليها في أمر معادها ـ أنه اليها محسن ، كما قال جل ثناؤه (وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون) . اعلاما منه عباده المؤمنين أن المنافقين باساءتهم الى انفسهم في إسخاطهم ربهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على عمياء من أمرهم مقيمون .

ثم قال حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سألت عبد الرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره (يخادعون

الله والذين آمنوا) . الى آخر الآية . قال هــؤلاء المنافقون يخادعون الله والذي آمنوا أنهم مؤمنون بما اظهروا » .

وروى ابن ابي حاتم عن ابن جريج في قوله تعالى (يخادعون الله) قال . يظهرون لا اله الا الله ، يريدون أن يحرزوا بذلك دمائهم وأموالهم ، وفي أنفسهم غير ذلك .

وأما إفسادهم في الارض فقـــال السدي في تفسيره عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قـــالوا إنمـــا نحن مصلحون) قال : هم المنافقون . أما (لا تفسدوا في الارض) فان الفساد هــو الكفر والعمل بالمعصية . ورواه ابن جرير من طريق السدي .

وقال ابن جريج عن مجاهد : (وذا قيـــل لهم لا تفسدوا في الارض (قال : إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم لاتفعلوا كــذا وكذا قالوا إنما نحن على الهـــدى مصلحون . رواه ابن جرير : وقال ابو جعفر الرازى عن الربيـــع ابن أنس عن ابي العاليـــة في قوله تعالى (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض) قال : يعني لا تعصوا في الارض ، وكان فسادهم ذلك معصية الله لأن من عصى الله في الارض أو أمر بمعصية فقد أفسد في الارض،لأن صلاح الارض رالسماء بالطاعة .

قال ابن كثير : وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة .

وروى ابن جرير وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه

قال في هــذه الاية (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلوحون) قال : ما جاء هؤلاء بعد .

قال ابن جرير : وأولى التأويلين بالاية تأويل من قال إنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، وان كان معنياً بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم الى يوم القيــامة .

وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هــذه الاية ماجاء هؤلاء بعد أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله ﷺ خبراً منه عمن هو جاء منهم بعدهم ولمايجيء بعد لا أنه عنى أنه لم يمض ممن هذه صفته أحد .

وانما قلنا أولى التأويلين بالاية ماذكرنا ، لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهراني أصحاب رسول الله ﷺ على عهد رسول الله ﷺ من المنافقين ، وأن هذه الآيات فيهم نزلت .

والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن من قول لا دلالةعلى صحته من أصل ولا نظير (١)

والافساد في الارض : العمل فيها بما نهى اللهجل ثناؤه عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه ، فذلك جملة الافساد

ـ الى ان قال ـ فكذلك صفة اهل النفاق ،مفسدونفيالارض بمعصيتهم فيها ربهم ، وركوبهم فيها مــا نهاهم عن ركوبــه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دين الله الذي لا يقبل من احد عملا إلا بالتصديق به والايقان بحقيقته ،وكذبهمالمؤمنين بدعواهم

---

(١) لعله نظر

غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب ، وبمظاهرتهم اهـل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله اذا وجدوا الى ذلك سبيلا .
فذلك افساد المنافقين في ارض الله وهم يحسبون انهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها » .

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله حسن ، فان من الفســاد في الارض : اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى (والذين كفروا بعضهم أوليــاء بعض إلا تفعلوه تكن فتنـــة في الارض وفساد كبير) .

قلت : ومن افساد المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ بناؤهم لمسجد الضرار الذي قال الله تعالى فيه (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) .

فالمنافقرن بنوا مسجدهم ضرارا لمسجد قبــاء ، وكفروا بالله ورسوله ، وتفريقا بين المؤمنين ، وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل . وهو ابو عامر الفاسق الذي كان يقال له الراهب ، وكان قد كتب الى المنافقين يعدهم ويمنيهم انه سيقدم من عنــد ملك الروم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وامرهم ان يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده الأداء كتبه ، ويكون مرصدا له اذا قدم عليهم بعد ذلك . وهذ من اعظم الافساد في الارض ، قال الله تعــالى (وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون) .

وقولهم ههنا ان اردنا الا الحسنى: هو كقولهم (انما نحن مصلحون) .

قال الله تعالى (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .

ومن افساد المنافقين ايضا : همهم بالفتك برسول الله ﷺ لما قفل من عزوة تبوك . قال ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة ابن الزبير قال لما قفل رسول الله ﷺ من تبوك الى المدينة هم جماعة من المنافقين بالفتك به ، وان يطرحوه من رأس عقبة في الطريق ، فأخبر بخبرهم فأمر الناس بالمسير من الوادي وصعد هو العقبة وسلكها معه اولئك النفر وقد تلثموا ، وامر رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ان يمشيا معه ، عمار آخذ بزمام الناقة وحذيفة يسوقها ، فبينما هم يسيرون « سمعوا بالقوم قد غشوهم ، فغضب رسول الله ﷺ وابصر حذيفة عضبه فرجع اليهم ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنوا ان قد اظهر على ما اضمروه من الأمر العظيم فأسرعوا حتى خالطوا الماس ، واقبل حذيفة حتى ادرك رسول الله ﷺ فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال ما عرفت الا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشيتهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب ؟» قالا : لا ، فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه ، وسماهم لهما واستكتمهما ذلك ، فقالا يارسول الله افلاتأمر بقتلهم؟ فقال: «اكره ان يتحدث الناس ان محمداً يقتل اصحابه » وهكذا ذكره ابن كثير في تاريخه .

قال : وقد ذكر ابن اسحاق هذه القصة الا انه ذكر ان النبي ﷺ انما اعلم باسمائهم حذيفة بن اليان وحده وهذا هو الأشبه.

ويشهد له قول ابي الدراء لعلقمة اليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره - يعني حذيفة - .

وذكر ابن اسحاق ان رسول الله ﷺ بعث اليهم حذيفة بن اليان فجمعهم له فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من امرهم وما تمالؤوا عليه - ثم سرد ابن اسحاق اسماءهم ، قال - وفيهم انزل الله عز وجل (وهموا بما لم ينالوا) .

وقد روى البيهقي من حديث ابي البختري عن حذيفة رضى الله عنه نحو ما تقدم .

وزاد في آخره ان النبي ﷺ دعا عليهم فقال : «اللهم ارمهم بالدبيلة ، قلنا : يا رسول الله وما الدبيلة » قال : هي شهاب من نار يقع على نياط قلب احدهم فيهلك » .

وروى الامام احمد في مسنده من حديت أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه نحو ما تقدم ، واسناده صحيح على شرط مسلم.

ومن افساد المنافقين ايضا : رجوع عبد الله بن أبي بثلث الجيش يوم أحد وتخذيله الناس عن القتال مع رسول الله ﷺ وأصحابه قال الله تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين . وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم

بما يكتمون . الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) .

قال محمد بن اسحاق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث قالوا : خرج رسول الله ﷺ يعني حين خرج الى أحد في ألف رجل من أصحابه ، حتى اذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انحاز عنه عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الناس فقال : اطاعهم وعصاني ، ووالله ما ندري علام نقتل انفسنا ههنا ايها الناس . فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه اهل النفاق واهل الريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر عدوكم ، قالوا : لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لا نرى ان يكون قتـال ، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله اعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه ﷺ .

ومن افساد المنافقين ايضا : ما ذكره الله عنهم في قوله تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمـر الله وهم كارهون . ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) .

وقال تعالى (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهـم مرض

ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولودخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ـ الى قوله ـ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا) الاية .

ومن افساد المنافقين ايضا : أذيتهم لرسول الله ﷺ بالقول السيء ، واستهزاؤهم به واصحابه ، كما ذكر الله ذلك عنهم في سورة براءة ، وسورة المنافقين .

وكقول عبد الله بن أبي : والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك .

وكقول بعضهم: ما رأينامثل قراءنا هؤلاء ارغب بطونا ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعنون رسول الله ﷺ واصحابه .

ومن افساد المنافقين ايضا : امرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف ، كما ذكره الله عنهم في سورة براءة

وكل هذا من الفساد المتعدي شره وضرره الى الغير .

واذا كان الأمر في المنافقين كما ذكرنا ، مع انه اعظم مما ذكرنا بكثير ، فكيف يستجير المصنف ان يقول انه لم يصدر منهم فساد اصلا الا ما كان في نفوسهم من الكفر القاصر عليهم !

ولو قال قائل ان الافساد الذي صدر من المنافقين في عصر النبي ﷺ اعظم مما صدر من ملاحدة العصريين وزنادقتهم لكان

وقله اقرب الى الصواب من قول المصنف ، لأن من آذى رسول الله ﷺ وهم بالفتك به وسعى فيما يوهن أمره ليس كمن آذى آحاد المسلمين وسعى فيما يضرهم . والله اعلم

الوجه الثامن : ما رواه السدي في تفسيره عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من اصحاب النبي ﷺ (مثلهم كمثل الذي استوقد نار فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) زعم ان أناساً دخلوا في الاسلام مقدم النبي ﷺ المدينة ، ثم إنهم نافقوا ، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد ناراً فأضاءت له ما حوله من قذى او أذى فأبصره حتى عرف ما يتقي ، فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فأقبل لا يدري ما يتقي من أذي ، فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر ؛ فبينا هو كذلك اذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر . ورواه ابن جرير من طريق السدي .

وروى ايضا من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ (او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ـ الى ـ إن الله على كل شيء قدير) . كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله ﷺ الى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله ، فيه رعد شديد وصواعق وبرق ، فجعلا كلما اضاء لهما الصواعق جعلا اصابعهما في آذانهما من الفرق ان تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما ، واذا لمع البرق مشيا في ضوئه

واذا لم يلمع لم يبصرا ، وقاما مكانهما لا يمشيان ، فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده فأصبحا فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده ، وحسن اسلامهما ،فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلا للمنافقين الذين بالمدينة .

وفي هذين الاثرين عن حبري الامة رد لقول المصنف ان المثلين المذكورين لا ينطبقان على المنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ .

الوجه التاسع إن الله تعالى اثبت الايمان ثم الكفر للمنافقين الذين كانوا في عصر النبي ﷺ ، فقال تعالى (ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) وقد نزلت سورة المنافقين في شان عبدالله بن ابي واصحابه من المنافقين ، وفيها رد لقول المصنف ان المنافقين لم يدخلوا في الدين يوماً ما .

ومما يرد عليه أيضا قول الله تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وقوله تعالى (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالو كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا) الاية .

الوجه العاشر : أن المنافقين في زمن النبي ﷺ كانوا هم السلف الطالح لجميع المنافقين بعدهم الى يوم القيامة ، فما أنزل في أولئك وهو صالح للعموم فهو عام لمن بعدهم من المنافقين الى يوم القيامة ، لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فلو ان المصنف قال ان الايات من أول سورة البقرة تشمل المنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ومن كان بعدهم من المنافقين ومنهم ملاحدة العصريين وزنادقهم لكان أولى به من تبرئة المنافقين الاولين مما نزل فيهم .

فصــل

وفي صفحة (٧٥) .

ذكر المصنف ما رواه أنس وأبــو ذر ورافــع ين عمرو الغفاري وابو سعيد الخدري رضي الله عنهم عن النبي ﷺ في وصف الخوارج ، وفي كل منها انه قال : « سيماهم التحليق »

ثم قال في صفحة (٧٦) ما نصه .

واعــلم ان الاحاديث الواردة في هؤلا المارقين مشابهة للأحاديث الواردة في الخوارج .

وهم وان كانوا كلهم خــوارج عن الدين ، وكلهم كلاب النار كما قال النبي ﷺ ، الا أنهم على قسمين .

فالقسم المعروف بهــذا الاسم الخــاص : ورد وصفهم بالتنطع في الدين والغلو فيه وأن احدنا يحقر صلاته مــع صلاتهم وصيامه مع صيامهم .

والقسم الثاني الذين هم ملاحدة هذا العصر ، ورد في وصفهم أنهم أحداث الاسنان سفهاء الاحلام وأن علامتهم التحليق .

ولما طلع قرن الشيطان بنجد في اواخر القرن الحادي عشر وانتشرت فتنته كان العلماء يحملون جميع هذه الاحاديث عليه وعلى اصحابه لانه لم يكن ظهر هذا النوع من الخوارج الملاحدة .

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها :

ان الروايات الواردة في طلوع قرن الشيطــان من المشرق

كلها عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقد صرح في بعضها ان المراد بالمشرق ارض العراق فبطل بذلك كل مايتعلق به الملاحدة على اهل الجزيرة العربية .

وانا اذكر ههنا جميع الروايات عن ابن عمر رضي الله عنهما ليعلم بطلان ماذهب اليه المصنف ومن شاكله من الملاحدة للدين يرمون النجديين بما ليس فيهم .

ففي الصحيحين ومسند الامام احمد من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول « ألا إن الفتنه ههنا ألا إن الفتنه ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » وفي رواية لمسلم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قام عند باب حفصه فقال بيده نحو المشرق : « الفتنه ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » قالها مرتين اوثلاثا . وقال عبيد الله بن سعيد ـ وهو احد شيوخ مسلم ـ في روايته : قام رسول الله ﷺ عند باب عائشة .

ورواه الامام احمد وقال كان قائما عند باب عائشة .

وقد رواه مالك واحمد والبخاري من حديث عبد الله بن دينار سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال رسول الله ﷺ ـ وأشار بيده نحو المشرق ـ فقال « ها إن الفتن من ههنا ، إن الفتن من ههنا ان الفتن من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » هذا لفظ احدي روايات احمد .

وروي الامام احمد ايضا والشيخان والترمذي من حديث الزهري عن سالم عن ابيه عن النبي ﷺ انه قام الى جنب المنبر

فقال الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان أوقال قرن الشمس هذا لفظ البخاري . ولفظ مسلم ان رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق « ها ان الفتنه ههنا ، ها إن الفتنة ههنا ، ها ان الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » . وفي رواية الترمذى قام سول الله ﷺ على المنبر فقال « ههنا أرض الفتن - وأشار الى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان ، اوقال قرن الشمس » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه الامام احمد ومسلم ايضا من حديث حنظلة ، وهو ابن ابي سفيان المكى قال سمعت سالما يقول سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول « ها ان الفتنة ههنا ، ها ان الفتنة ههنا ، ها ان الفتنة ههنا ، من حيث يطلع الشيطان قرنيه » هذا لفظ أحمد .

وفي رواية له أخرى عن حنظلة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده يؤم العراق « ها ان الفتنة ههنا ، ها ان الفتنة ههنا ، ها ان الفتنة ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » . اسناده صحيح ، رجاله كلهم من رجال الصحيحين .

وفي هذه الرواية فائدة جليلة ، وهي البيان بأن منشأ الفتن من جهة العراق ، لا من جهة نجد التي هي ارض العرب ، ففيها رد على من زعم من الملاحدة ان المراد بذلك ارض العرب .

ورواه الامام احمد ومسلم ايضاً من حديث عكرمة بن عمار عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرج رسول الله ﷺ

من بيت عائشة رضي الله عنها فقال : « رأس الكفر من ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان » يعني المشرق

ورواه مسلم ايضاً من حديث ابن فضيل عن أبيه قال: سمعت سالم بن عبد اللهبن عمر يقول: يا أهل العراق ماأسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ، سمعت أبي عبداللهبن عمر رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقـول : « ان الفتنة تجيء من ههنا ــ وأومأ بيده نحو المشرق ــ من حيث يطلع قرنا الشيطان » . وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وانما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل له : (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً) .

وروى الامام أحمد والبخاري والترمذي من حديث ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : وفي تجدنا ، قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : وفي نجدنا ، قال : هنالك الزلازل والفتن ، منها ــ أو قال بها ــ يطلع قرن الشيطان » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

ورواه الامام أحمد من حديث عبد الرحمن بن عطاء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا ــ مرتين ــ فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : من هنالك يطلع قرن الشيطان ، ولها تسعة أعشار الشر » قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن عطاء وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر .

وقد رواه الطبراني في الأوسط ولفظه ان رسول الله ﷺ قال: « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا ، وقال رجل : وفي مشرقنا يا رسول الله ، فقال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا ، فقال رجل : وفي مشرقنا يا رسول الله فقال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا ؛ ان من هنالك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الكفر ، وبه الداء العضال » .

رواه الامام أحمد من حديث بشر بن حرب سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وفي صاعنا ومدنا ، ويمننا وشامنا ــ ثم استقبل مطلع الشمس ــ فقال : من ههنا يطلع قرن الشيطان ، من ههنا الزلازل والفتن » .

وعن مالك أنه بلغه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يخرج الى العراق فقال له كعب الأحبار : لا تخرج اليها فان بها تسعة أعشار السحر ، وبها الداء العضال . ذكره في الموطأ .

قال الخطابي : القرن الأمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين وقرن الحية ان يضرب المثل فيما لا يحمد من الأمور . نقـــله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري . قال : وقال غيره كان أهـــل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ ان الفتنة تكون من تلك الناحية ، فكان كما أخبر . وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين ، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به . وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة .

وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة . وأصل النجد ما ارتفع من الارض ،وهو خلاف الغور ، فانه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة .

قال الحافظ بن حجر وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي أن نجداً من ناحية العراق ؛ فانه توهم ان نجداً موضع مخصوص، وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة الى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً .

قلت : وقد تقدم ما رواه سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده يؤم العراق « ها ان الفتنة ههنا » الحديث . وهذه الرواية فيها تعيين المراد مما أبهم في غيرها من الروايات كقولهم : وفي نجدنا ، وقولهم وفي مشرقنا .

فالمراد بذلك كله ارض العراق وما يليه من المشرق .

وقد وقع مصداق ذلك فكان قتل عثمان رضي الله عنه على أيدي أهل العراق ومن مالأهم من اجلاف اهل مصر ، وبقتله انفتح باب الفتن الى يوم القيامة .

وكانت في العراق وقعة الجمل ، ووقعة صفين .

وفيه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وأصحابه .

وكانت فيه ايضاً فتنة المختار بن أبي عبيد، وفتنة الحجاج بن يوسف .

وغير ذلك من الفتن العظيمة .

وكذلك كانت فتنة بني العباس ودعاتهم في العراق وخراسان

وكذلك فتن الأهواء المضلة فكلها ظهرت أول مـــا ظهرت بأرض العراق كفتنة الخوارج، والرافضة، والقدرية ، والمرجئة، والمعتزلة ؛ والجهمية .

ثم انتشرت بعد ذلك في أرجاء الارض .

ولم يزل العراق موضع هرج وفتن في الدين وآخر ذلك فتنة المسيح الدجال ، وهي أعظم فتنة تكون على وجه الارض .

وقد جاء في بعض الأحاديث انه يخرج من العراق .

وفي بعضها انه يخرج من خراسان .

وعلى هذا فيحتمل انه ﷺ أراد بقوله قرني الشيطان أول الفتن وآخرها وما بين ذلك من الفتن العظيمة .

ويحتمل انـه أراد بذلك فتنة الهرج وفتنة الأهـواء المضلة . والله أعلـم بمـــراد رسول الله ﷺ .

الوجه الثاني : ان المصنف أراد بطلوع قرن الشيطان بنجد ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه . وقد سمي أهل نجد بالقرنيين في صفحة (٥٠ و ١٢٧) من كتابه .

وهذا من البهتان والاثم المبين ، لكونه وصفهم بصفة ذميمة لم ترد فيهم ، وإنما وردت في غيرهم . وقد قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقـد احتملوا بهتانـاً وإثماً مبينـاً) .

وعن ابن الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (من ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه » رواه الطبراني ، قال المنذري : وإسناده جيد وفي رواية له « أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال » رواه الامام أحمد وأبو داود والطبراني وزاد « وليس بخارج » .

الوجه الثالث : ان الله تعالى قال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقد زعم المصنف في آخر كتابه أنه من القائمين بالكتاب والسنة ثم خالف قواه بفعله في مواضع كثيرة من كتابه.

ومنها هذا الموضع ، حيث لم يتثبت في أمـــر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأهل نجد، وتسرع الى وصفهم بصفة مضادة لصفتهم في الحقيقة . ولو أنه تثبت في أمر الشيخ والنجديين كما تثبت علماء الدين لظهر له ما ظهر لهم من براءة الشيخ والنجديين مما رماهم به علماء الزيغ والضلال من البهتان والاثم المبين

الوجه الرابع : ان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وتجديده للدين في أرض نجد كان في أواخر القرن الثاني عشر من الهجرة ، لا في أواخر القرن الحادي عشر كما زعمه المصنف.

الوجه الخامس : من فساد تصور المصنف جعله تجديد الدين ونشر السنة في البلاد النجدية نشراً للفتنة فيها . وهذا شأن أهل البدع الذين نكست قلوبهم فصاروا يرون الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق ، عياذاً بالله من عمى البصيرة .

الوجه السادس : من عجيب أمر المصنف حكمه للمصريين بالايمان ، وأنهم الطائفة المنصورة الى قيام الساعة ، كما تقدم ذكر ذلك — وحكمه على الامام المجدد للدين بأنه قرن الشيطان ، وأنه نشر الفتنة ، وتسميته للنجديين بالقرنيين . ولا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة ان الأمر في كل من الفريقين بالعكس مما قال فيه .

فأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه فانه قام بالدعوة الى الله تعالى أتم القيام ، فجعل الله تعالى في قيامه أعظم البركة ، وجدد الله به دين الاسلام بعد اندراسه ، ونشر به السنة في أرض الجزيرة العربية وغيرها وقمع به البدعة ، وطهر به بلاد نجد من أمور الجاهلية .

وكذلك كان أولاده وأحفاده وتلاميذه ، وتلاميذ أولاده وأحفاده ، وغيرهم من علماء نجد الأعلام ، فكلهم كانوا على الصراط المستقيم والمنهج القويم ، يدعون الى الله تعالى على بصيرة ويجاهدون أهل الشرك والبدع وكتبهم ورسائلهم شاهدة بما ذكرته عنهم .

وأما المصريون فقد تقدم ما ذكرناه عنهم من الافتتان بالقبور، ودعاء أهلها والالتجاء اليهم في طلب الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، وان البدع والخرافات وأنواع المعاصي والمنكرات كانت فاشية عندهم بكثرة، وأنهم نبذوا حكم الشريعة المحمدية وراء ظهورهم واعتاضوا عنها بالقوانين الوضعية التي هي من حكم الطاغوت والجاهليـة، وأنهم افتتنوا بالاشتراكية الخبيثة، مع تمسكهم بالتقاليد الافرنجية في كل جليل وحقير من أمورهم.

الى غير ذلك مما ذكرناه وما لم نذكره مما يطول وصفه.

ومع هـذا يقول المصنف عنهـم إنهـم على الحـق، وإنهم الطائفـة المنصورة.

ويقول في الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه إنه قرن الشيطان، وإنه نشر الفتنة، وان النجديين هم قرن الشيطان.

وهذا من قلب الحقيقة وعكس القضية في كل من الفريقين.

وما أشبه حال المصنف بالذين قال الله تعالى فيهم (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون).

الوجه السابع: ان المصنف قال عن العلماء إنهم كانوا يحملون الأحاديث الواردة في الخوارج على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى أصحابه. وهذا الكلام فيه إيهام وتلبيس على من جهل حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما ان فيه افتراء على علماء الدين

وجوابه أن يقال:

أما علماء الزيغ والضلال ، من المفتونين بالقبور وأهل البدع والأهواء ومن شاكلهم فانهم قد أظهروا العداوة للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصحابه ، ورموهم بكل ما يرون أنه يعيبهم ويحط من قدرهم ، فقالوا كذباً وزوراً إنهم خوارج ، وقالوا إنهم قرن الشيطان ، وقالوا إنهم نشروا الفتنة ، وقالوا إنهم يبغضون الرسول ﷺ ، الى غير دلك مما بهتوهم به وافتروه عليهم .

وأما علماء الدين فانهم شهدوا للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى أنه أظهر توحيد الله ؛ وجدد دينه ودعا اليه ، واعترفوا بعلمه وفضله وهدايته ، واثنوا عليه نظما ونثرا .

فمن ذلك ما قاله عالم اليمن الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى :

قفي واسألي عن عالم حل سوحها
به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد انكرت كل الطوائف قوله
بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل
ومبتدع منه فوافق ما عندي

ويعمر أركان الشريعــة هادمــاً
مشاهد ضل النـاس فيها الرشد
أعـاد وابهــا معنى سواع ومثله
يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة
أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حــول القبور مقبل
ويستلم الأركان منهن بالأيدي
لقد سرني ما جاءني من طريقه
وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقال عالم الاحساء حسين بن غنام رحمه الله تعالى :

لقد رفـع المولى به رتبة الهـدى
بوقت بـه يعـلى الضلال ويرفع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى
وعــام بتيار المعــارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه
وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها
سواه ولا حاذى فناها سميدع

وشمـــر في منهاج سنة أحمـــد

يشيد ويحيي مـــا تعفى ويرقع

ينـــاظر بالآيات والسنة التي

أمرنا اليهـا في التنازع نرجـــع

فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها

وأمسى محياهـــا يضيء ويلمـــع

وعـــاد به نهج الغواية طامساً

وقد كان مسلوكاً به الناس تربع

وجرت به نجد ذيول افتخارها

وحـــق لهـــا بالألمعي ترفـــع

فآثاره فيهـــا سوام سوافـــر

وأنواره فيهـــا تضيء وتسطع

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني رحمه الله تعالى :

إمام الورى علامة العصر قدوتي

وشيخ الشيوخ الحبر فرد الفضائل

محمد ذو المجد الذي عز دركه

وجل مقاماً عن لحوق المطاول

عنيت ابن عبدالوهاب قدوة عصره

سلالة أنجاب زكي الخصائل

عليه من الرحمن أعظم رحمة

تبل ثراه بالضحى والأصائل

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه

وقام مقامات الهـدى بالدلائل

إمـام له شأن كبـير ورتبـــة

من الفضل تثني همـــة المتطاول

تأخر ميلاداً وفي حلبـة العـــلى

وميدان فخـــر سابق للأوائل

ويأمر بالمعروف في كل حالة

وعن منكر ينهى وليس بقابل

ولم يأل جهداً في نصيحة مسلم

برأي وتدبير وحسن تعامـــل

ومن شأنه قمع الضلال ونصره

لمن كان مظلوماً وليس بخاذل

وكم كان في الدين الحنيفي مجاهداً

بماضي سنان دامـــغ للأباطل

فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً

ولا اشتد للاسلام ركن المعاقل

ولا كان للتوحيد واضح لاحب

يقيم اعوجاج السير من كل عادل

فمـــا هو الا قائم في زمـــانه

مقـــام نبي في إماتة باطـــل

وقال الشيخ ملا عمران بن علي بن رضوان ، نزيل لنجه من بلاد العجم رحمه الله تعالى ، في رده على من عارض الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى :

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة
يدعون أصحـاب القبور الهمد
تاجـاً وشمسان ومن ضاهاهما
من قبـة أو تربة أو مشهـد
يرجـون منهم قربـة وشفاعة
ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورأوا لعبـاد القبـور تقرباً
بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والأشياخ ما
شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في أكله
من كان يذبح للقبور ويقتدي
فأتاهم الشيخ المشار اليه بالنـ
صح المبين وبالكلام الجيـد
يدعوهم لله أن لا تعبـدوا
إلا المهيمن ذا الجلال السرمد
لا تشركوا ملكاً ولا من مرسل
كلا ولا من صالح أو سيد

فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا
إلا عجيب عنـدنا لم يعهد
مـا قاله آباؤنا أيضاً ولا
أجدادنا أهل الحجى والسؤدد
إنا وجدنا جملة الآبا على
هذا فنحن بما وجدنا نقتدي
فالشيخ لما أن رأى ذا الشأن من
أهل الزمان اشتد غـير مقلد
ناداهم يا قـوم كيف جعلتم
لله أنداداً بغـير تعـدد
قالوا له بل إن قلبك مظلم
لم تعتقد في صالح متعبد
قالوا له غشاش أمة أحمد
وهو النصيح بكل وجه يبتدي
هل قال إلا وحدوا رب السما
وذروا عبادة ما سوى المتفرد
وتمسكوا بالسنة البيضا ولا
تتنطعـوا بزيادة وتردد
هذا الذي جعلوه غشاً وهو قد
نطقت به الرسل الكرام لمن هدي

من عهد آدم ثم نوح هكذا
تترى الى عهـد النبي محمـد
وكذلك الخلفـاء بعـد نبيهم
والتابعون وكل حبر مهتد
منهاجهم هذا عليه تمسكوا
من كان مستناً بهم فليقتد
عجباً لمن يتلو الكتاب ويدعي
علم الحديث مسلسلا في المسند
ويقول للتوحيد غشاً : إن ذا
خطر على من قاله فليشهد
ويجدد الاسلام والإيمان معتقداً
بأن الشيخ خير مجـدد
ما ذنبه في الناس إلا أنه
هد القباب وتلك سيرة أحمد
لما نفى الإطراء منهم والغلو
قالوا أتيت بذا الجفاء المبعد
لو كان حبك للنبي محققاً
لفعلت فعلتنا لعلـك تهتدي
والله قد ذم الغلو فقال (يا
أهل الكتاب) بغلظة وتهددي
إذ قال (لا تغلوا) بنهي لازم
(في دينكم) فالحكم لم يتردد

وكذا الرسول نهى وأخبر أنه
فيه الهلاك لراهب متعبد
عجباً لهم لو كان فيهم منصف
لرأى المحب محمداً لمحمد
من حيث إن الاتباع مقارن
للحب في نص الكتاب الأمجد
قالوا صبأتم نحوه قلنا لهم
الحق شمس للبصير المهتدي
ما بيننا نسب نميل به ولا
حسب يقربنا له بتودد
أيضاً ولا هو جارنا الأدنى الذي
نمتار نعمته ولم نسترفد
لكنها شمس الظهيرة قد بدت
لذوي البصائر فاهتدى من يهتدي
فالعالمون العاملون المنصفون
له أقروا بالفضائل واليد
لكن قليل منهم في عصرنا
كالشعرة البيضا بجلد أسود
فان اعتراكم في الذي قد قاله
شك وريب واختلاف يبتدي
فزنوا بميزان الشريعة قوله
تجدوه حقاً ظاهراً للمقتدي

وقال الشيخ أحمد بن محمد الحفظي اليمني رحمه الله تعالى في أرجوزة له :

حركني لنظمها الخير الذي
قد جاءنا في آخر العصر القذي
لما دعا الداعي من المشارق
بأمر رب العالمين الخالق
وبعث الله لنا مجدداً
من أرض نجد عالماً مجتهداً
شيخ الهدى محمد المحمدي
الحنبلي الأثري الأحمدي
فقام والشرك الصريح قد سرى
بين الورى وقد طغى واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليلا
وطرق الاسلام والسبيلا
إلا أساميها وباقي الرسم
والارض لا تخلو من آهل العلم
وكل حزب فاهم وليجه
يدعونه في الضيق للتفريجه
وملة الاسلام والاحكام
في غربة وأهلها أيتام
دعا الى الله وبالتهليله
يصرخ بين أظهر القبيله

مستضعفاً وما له مناصر
ولا له معاون موازر
في ذلــة وقــلة وفي يــده
مهفة تغنيــه عـن مهنـده
كأنها ريح الصبا في الرعب
والحق يعلو بجنود الرب
ولم يزل يدعو الى دين النبي
ليس الى نفس دعا أو مذهب
يعــلم النـاس معـاني أشهد
أن لا إله غير فرد يعبد
محمــد نبيــه وعبــد
رسـولـه اليــكم وقصـده
أن تعبدوه وحده لا تشركوا
شيئاً به والابتداع فاتركوا
ومن دعا دون الإلــه أحـدا
أشرك بالله ولو محمـداً
إن قلتم نعبدهم للقربه
أو للشفاعات فتلك الكذبه
وربنـا يقـول في كتابه
هذا هــو الشرك بلا تشابه
هذي معاني دعوة الشيخ لمن
عاصره واستكبروا عن السنن

وبعد ما استجيب لله فمن
جادل في الله تردى وافتتن
ومن أجاب داعي الله ملك
ومن تولى معرضاً فقد هلك

وثناء العلماء من سائر الامصار على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، واعترافهم بعلمه وفضله ونصيحته لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم : كثير جداً .

بل قد اعترف اعداء الاسلام والمسلمين من كتاب النصارى ومؤرخيهم أن الشيخ محمداً وأتباعه أرادوا تجديد الاسلام واعادته الى ما كان عليه في الصدر الاول ، كما ستأتي الاشارة الى ذلك في كلام محمد رشيد رضا ، وفيما نقله الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن سند عن الكاتب الامريكي .

قال محمد رشيد رضا في مقدمة كتاب صيانة الانسان عن وسوسة دحلان : لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها بالدعوة والتعليم وحسن القدوة ، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين كما ورد في الأحاديث .

ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو الى تجريد التوحيد واخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين

ﷺ وترك البدع والمعاصي واقامة شعائر الاسلام المتروكة ، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة .

فنهدت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث قوة الدولة الحكام،وقوة انصارها من علماء النفاق،وقوة العوام الطغام . وتصدى للطعن في الشيخ محمد بن عبد الوهاب والرد عليه افراد من اهل الامصار المختلفة ، منهم رجل من احد بيوت العلم في بغداد ، قد عهدناه يفتخر بأنه من دعاة التعطيل والالحاد .

وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤ . ألف رسالة في ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين : قطب الكذب والافتراء على الشيخ ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه .

وكنا نسمع في صغرنا اخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل امثاله فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا ونصدق ان الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخضدت شوكتهم .

وأنا لم أعلم بحقيقة هذه الطائفة الا بعد الهجرة الى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي وتاريخ « الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى » فعلمت منهما انهم هم الذين كانو على هداية الاسلام دون مقاتليهم ، ، وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من اهلها ولا سيما تواريخ الافرنج الذين بحثوا عن حقيقة الامر فعلموها وصرحوا أن هؤلاء الناس أرادوا تجديد الاسلام وإعادته

الى ما كان عليه في الصدر الاول، وإذاً لتجدد مجده وعادت اليه قوته وحضارته . وان الدولة العثمانية ما حاربتهم الا خوفا من تجديد ملك العرب واعادة الخلافة الاسلامية سيرتها الاولى .

على أن العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت كان الف كتابا في تاريخ الاسلام ذكر فيه الدعوة التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقال انها عين ما دعا اليه النبيون والمرسلون ، ولكنه قال ان الوهابيين في عهده متشددون . وقد عجبنا له كيف تجرأ على مدحهم في عهد السلطان عبد الحميد؟ ورأيت شيخنا محمد عبده في مصر على رأيه في هداية سلفهم وتشدد خلفهم وأنه لولا ذلك لكان اصلاحهم عظيما ورجي أن يكون عاما ، وقد ربى الملك عبد العزيز غلاتهم المتشددين منذ سنتين تربية يرجى أن تكون تمهيداً لا صلاح عظيم .

وان علماء السنة في الهند واليمن قد بلغهم كل ما قيل في هذا الرجل فبحثوا وتثبتوا كما امر الله تعالى فظهرلهم ان الطاعنين فيه مفترون لا أمانة لهم ، وأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره وعدوه من الائمة المصلحين المجددين للاسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه في كتبهم ، ولا نتسع هذه المقدمة لنقل شيء من ذلك انتهى .

والتشدد الذي اشار اليه انما وقع في بعض الاعراب في زمن يسير . فأما الحاضرة وكثير من البادية فكانوا على الطريقة السلفية ولم يكن فيهم تشدد كما يزعمه بعض الناس ، فاطلاق

التشدد على العموم متعقب على من ادعاه، كما لا يخفى على من له أدنى معرفة بحال اهل نجد

وقال محمد رشيد رضا في هامش صيانة الانسان : من المعلوم بالتواتر أن الشيخ رحمه الله تعالى جدد الاسلام في نجد وغير نجد.

وقال ايضاً في مقدمة رسائل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى : لا نعرف في تاريخ الاسلام شعباً دخل في جميع الاطوار التي دخل فيها الاسلام في نشأته الاولى : غربة وجهاداً وهجرة وحجاجاً وقوة ، غير هذا الشعب النجدي .

فقد ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في وقت كان حال أهله شراً من حال المشركين وأهل الكتاب في زمن البعثة ، من شرك وخرافات وبدع وضلالات وجهالة غالبة ، فدعا الى عبادة الله وحده والرجوع الى اصل الاسلام الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، فعاداه في بلاده الاكثرون ووالاه فيها الاقلون ، فنصر الله تعالى أولياءه من أمراء آل سعود وأتباعهم على اعدائهم .

ثم تصدى لعداوتهم الترك وأعوانهم فكانت الحرب سجالا بينهم ، وعاقب الله السعوديين زمناً ما بما كان من تخاذل بينهم وتقصير في إقامة بعض سنن الله في دولتهم ، ثم كانت العاقبة الحسنى لهم عندما تابوا من ذنبهم ورجعوا الى وحدتهم واعتبروا

بقول الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)وقوله في أصحاب رسول الله ﷺ عندما ظهر عليهم المشركون في غزوة أحد (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

امتحن الله النجديين بتصدي الترك لعداوتهم وتأليب العرب وشرفاء الحجاز والمصريين عليهم لئلا يعيدوا ملك العرب وسلطانهم الذي سلبوه منهم ، فحاربوهم باسم الاسلام ، ونشروا الكتب والفتاوي في رميهم بالكفر والابتداع ،وقد اغتر كثيرون بما فعلوه باسم الاسلام ، وشايعهم عليه افراد وجماعات هم دون الخوارج الذين خرجوا على الامام أمير المؤمنين الخليفة الرابع للرسول ﷺ وكفروه وتبرؤوا منه ، ودون الذين بغوا عليه وحاربوه مع معاوية ، نعم هم دونهم علماً بالدين وعملا به . بل كفرهم وقاتلهم أخلاط منهم المسلم والكافر والزنديق والمنافق ، وعسكر لا يقيم الصلاة ولا يؤدي الزكاة ولا يحرم ما حرم الله ورسوله ، من الخمر والزنا واللواط وأكل أموال الناس بالباطل والقتال لطاعة الرؤساء ولو في معصية الله تعالى .

بهذا كان علماؤهم وأمراؤهم في حال تشبه حال مسلمي الصدر الأول : في مقاومة المشركين الذين يدعون غير الله ويجعلون لله أنداداً كالذين جاهدهم النبي ﷺ ، وفي مقارعة تاركي الصلاة ومانعي الزكاة كالذين قاتلهم ابو بكر الخليفة الأول رضي الله عنه ، وفي مجالدة البغاة كالذين قاتلهم الخليفة الرابع علي رضي الله عنه ،

وفي مجادلة المبتدعـــين من الروافض والجهمية كالذين ناضلهم الامام أحمد واخوانه أئمة السنة بالحجة .

فأعادوا نشأة الاسلا م العملية سيرتها الأولى في الصدر الاول من ولاية وبراءة وهجرة وجهـــاد بالسيف والسنان ، وبالحجة والبرهان . على حين صارت النصوص الخاصة بهذه الاحـــوال منسية او كالمنسية عنـــد غيرهم من شعوب الاسلام ودوله ، لا يتعلق بها عمل من الاعمال ولا حكم من الاحكام .

وقد عده احمد امين في كتابه يوم الاسلام من المجددين للدين وقال : كان من بني تيم ظهر في اواخر القرن الثامن عشر - أي الميلادي - وكان اهم مبادىء اصلاحه الرجوع الى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ودافع عن مبدأ الاخذ بالحديث والاعتماد عليه اعتمادا كليا عكس مافعله الفقهاء السابقون من اخذهم بالرأي ، واقتنع بمذهب احمد بن حنبل في اعتماده على الحديث ، ودرس مؤلفات ابن تيمية ، واعاد الرجم للزاني والزانيـــة واكتسبت تعاليمه انصارا كثيرين وابطل الاضرحة وهدمها ، وحرم لبس الحرير ، واي زينة وزخرف في المساجد ، كما تشـــدد في تحريم المسكرات وتحريم التدخين ، الى ان قال اصـــلاحات محمد بن عبد الوهاب هي اصلاحات دينية لا دنيوية انتهى .

وقال محمد رشيد ايضا في مقدمة مجموعة الحديث النجدية :
وقد كان مما استعمل الله به الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجـــدد

الدين في نجد وما حولها أن أحيا مدارسةالسنة النبوية فيها للاهتداء بها لا لمجرد التبرك بالفاظها ، ولا لاجـل الا ستقلال فيها دون ما كتب المحدثون والفقهاء في شرحها والاستنباط منها بل نرى من هداهم الله تعالى بدعوته وانقذهم من الجاهلية التي عادت الى اكثر اهل جزيرة العرب ما زالو يحيون كتب فقه شيخ السنة الا كبر الامام احمد رضي الله عنه،مع خيار كتب التفسير والحديث لغير الحنابلةمن علماء السنةفكانوا من اجدر المسلمين بلقب اهل السنة

. . . وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن سند، في رده على الراوي العراقي : لقـد نهض الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى نهضة اكرم بها من نهضة ، وقد بلـغ من امر تلك النهضة ان عرفها الباحثون في علل رقي الامم وانحطاطها حتى من غير علماء الاسلام .

واليك نظرية احد علماء الغرب في تلك النهضة الاصلاحية التي نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

قال لو ثروب ستودارد الامريكي في كتابه حاضر العالم الاسلامي المترجم الى اللغة العربية بقلم الاستاذ عجاج نويهض ـ الفصل الاول من الكتاب ، في اليقظة الاسلامية ـ :

. . . في القرن الثامن عشر ـ اي الميلادي ـ كان العالم الاسلامي قد بلـغ من التضعضع اعظم مبلـغ ومن التدلي ولانحطاط اعمق دركة ، فاربدجوه وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعـه ، ورجـاً من ارجـائه ، وانتشر فيه فساد الاخـلاق والآداب وتـلاشى ما كان باقيا من آثار التهـذيب العربي ،

واستغرقت الامم الاسلاميةفي اتباع الاهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة .

وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضى واغتيال فليس يرى في العالم الاسلامي في ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركيا وآخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكما واهناً فاشي القوة متلاشي الصبغة ، وقام كثير من الولاة والامراء يخرجون على الدولة التي هم في حكمها وينشؤون حكومات مستقلة ولكن مستبدة كحكومة الدوله التي خرجوا عليها ، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون اخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك ، فكثر السلب والنهب ، وفقد الأمن ، وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً .

وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا ارهاقا فوق ارهاق ، فغلت الايدي ، وقعد عن طلب الرزق ، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بوراً شديداً ، وأهملت الزراعة اي اهمال .

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد الادعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين ، يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج الى قبور الاولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .

وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والافيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية واستحياء . ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الاسلام ، فصـــار الحج المقدس الذي فرضه الله تعالى وفرضه النبي صلى الله عليه وسلم على من استطاعه ضربا من المستهزآت .

وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ؛ وهبطوا مهبطا بعيد القرار فلو عاد صاحب الرسالة الى الارض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الاسلام لغضب واطلق اللعنـــة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الاوثان .

وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته ، إذا بصوت قد دوى من قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الاسلام ، يوقظ المؤمنين ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم . فكان الصارخ هذا الصوت انما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي اشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامي ، ثم اخذ هذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القديم والعز التليد ، فتبدت تباشير صبح الاسلام ثم بدت اليقظة الكبرى في عالم الاسلام .

ولد محمد بن عبد الوهاب في نجد الواقعة في قلب الصحراء العربية حــوالي سنة ألف وسبعمائة ميلادي ؛ وكانت نجد في ذلك

العصر على انحطاط العالم الاسلامي وتدليه انقى البلدان اسلاما واطهر الاقطار دينا . واذ كان منذ أول شأنه شديد الميل الى الاطلاع والتفقه في الدين ، لسرعان ما اشتهر ذكره وذاع اسمه فعرف بعلم وافر، قواماً على التقوى فحج الى مكة في اوائل عمره وطلب العلم في المدينة المنورة ، وساح الى كثير من البـــلاد المجاورة حتى فارس ، ثم عاد الى نجد مشتعلا غضباً دينياً لما رآه بأم عينه من سوء حالة الاسلام فصحت عزيمته على القيام بدعوة الاصلاح .

فقضى سنين عديدة راحلا من بلاد الى بلاد في شبه الجزيرة فبشر بالدعوة موقظا النفوس ، حتى استطاع بعد جهاد طويل ان يجعل محمد بن السعود وهو اكبر أمراء نجد وأعلى زعمائهم كعبا وشأنا يقبل الدعوة ويدخل فيها فاكتسب ابن عبد الوهاب بذلك مكانة ادبية عالية ومنزلة اجتماعية رفيعة وقوة حربية لا يستهان بها فاستفاد من ذلك استفادة جليلة قـد مكنته من بلوغ غايته وادراك غرضه .

فتكونت على التوالي وحدة دينية سياسية في جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التى انشأها صاحب الرسالة ﷺ وفي الواقع فان المنهج الذي نهجه ابن عبد الوهاب يشبه شبها كبيراً ذاك الذي نهجه الخلفاء الراشدون كابي بكر وعمر .

ولما مات سنة ألف وسبعمائة وسبعة وثمانين ـ اي ميلادية ـ خلفه ابن السعود فكان خير خليفة للمصلح الاسلامي الكبير ،

واقتفى الوهابيون آثار خلافة الراشدين وعلى ما كان في يد ابن السعود من القوى الحربية العظيمة فان ذلك ما كان ليصرفه عن ان يكون على الدوام نازلا على رأي الجماعة وشوراها ، فلم يمتهن حرية اتباعه وبني قومه .

وكانت حكومته على عنفها مكينة عادلة فانقطع التعدي ، وأمن الناس السرقات ، وانتشر الأمن وسادت الطمانينة والراحة ، وعكف على العلم والتهذيب ، فكان في كل واحة مدرسة ، وفي كل قبيلة بدوية عدد من المعلمين .

وبعد ان اخضع ابن السعود نجداً وتم له الامر في كاملها اخذ يستعد ليقوم بعمل اكبر ، ألا وهو اخضاع جميع العالم الاسلامي ونشر الاصلاح فيه فجعل نصب عينيه في المقام الاول تحرير الاماكن المقدسة الحجازية ، فكر على الحجاز في صدر القرن التاسع عشر - اي الميلادي - بمقاتلته الشجعان المشتعلين غيرة دينية ، وكان له ماأراد من الأستيلاء على الاماكن المقدسة ، فلم تستطع قوة الوقوف في وجه الوهابيين وهم يحملون على الترك ، والترك في نظرهم اهل الارتداد والجحود ، ومغتصبو الخلافة اغتصابا وحقها ان تكون أبداً في العرب .

وبينما كان ابن السعود سنة الف وثمانمائة وأربعة عشر - اي ميلادية - يعد العدة لفتح سوريا وهمته متينة ، كان يخيل الى العالم منه ان الوهابين متدفقون على الشرق تدفقا وصانعون ماشاء الله من الاصلاح في الاسلام ، غيران ذلك ماقدر ليكون .

فلما ايقن سلطان تركيا انه لا يستطيع القضاء على الوهابيين استصرخ بطلا من مشاهير الابطال وهـــو محمد علي واستكفاه امر القضاء عليهم ، وكان هـــذا المقـــدام الالباني سيد مصر واميرها واقفا حق الوقوف على قدرة اوربا وشدة بأسها وتفوقها فدعا اليه ضباطا من اهل الغرب فنظموا له جيشا قويا ودربوه تدريباً على الطراز الغربي ، وجهزوه بمعدات الاسلحة الغربية ، وكان غالب هذا الجيش مؤلفا من المقاتلة الالبانيين الاشداء .

فسرعان ما اجـــاب محمد على نداء السلطان فايقن حينئذان الوهابيين على شدة غيرتهم الدينية وحماستهم لن يستطيعوا بعـــد الوقوف بوجه البنادق والمدافع الاوربية يطلق عيـــارها جنود مجربون ، وما هي الا مدة قصيرة حتى استردت الاماكن المقدسة الحجازية ورد الوهابيون على اعقـــابهم فانقلبوا الى الصحراء ، فاختفت الامبراطورية الوهابية الوليـــدة للحال اختفاء اوارخي الستار على الدور السياسي الوهابي .

بيد ان خاتمة هذا الدور السياسي كانت فاتحة الدور الديني فقـــد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نار الغيرة الدينيـــة ، ومنبثق النور تنبعث منه الاشعة الوهاجة الى كل ناحية من نواحي الارض .

وما فتىء الوهابيون منذ قضي على قوتهم السياسية يبثون روح الحركة الدينية في مئات الالوف من الحجيج الوافدين كل عـــام الى مكة والمدينة من كل قطر من أقطار العالم الاسلامي ، فيقتبس هـــؤلآء ناراً وهابيـــة ثم يعودون الى اوطـــانهم يشعلون بهـــا

ما استطاعوا اشعاله في سبيل الاصلاح .

وهكذا قد استطاع الوهابيون ان يبذروا بذورا تلاها الاختمار الشديد للثورة الدينية في كل فج اسلامي ، حتى بلغت دعوتهم الدينية اقصى المعمور ، فقام في شمال الهندالزعيم الوهابي المغالي السيد احمد مستنفراً مسلمي بنجاب ، وأنشأ دولة وهابية ، فكان هذا الزعيم يعد عدته لفتح سائر شمالي الهند فحالت منيته بينه وبين ذلك ، واضمحلت الدولة الوهابيه الهندية سنة الف وثمانمائة وثلاثين ـ اي ميلادية ـ غير انه لما جاء الانكليز يفتحون البلاد عانوا الأمرين من بقايا النار الوهابية الكامنة في الرماد ، وظلت هذه النار مخبوءة الى ماشاء الله فكانت عاملا من عوامل الثورة الهندية ، ثم استطار من شررها ما تناول افغانستان وسائر القبائل الهندية عند الحدود الشمالية الغربية فاشعلها ايما اشعال ـ الى أن قال ـ :

فالدعوة الوهابية انما هي دعوة اصلاحيةخالصة بحتة غرضها اصلاح الخرق ونسخ الشبهات وابطال الاوهام، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها اربابها في عصر الاسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الاولياء .

وعلى الجملة هي الرجوع الى الاسلام والأخذ به على اوله واصله ، ولبابه وجوهره ، أي انها الاستمساك بالوحدانية التي اوحى الله بها الى صاحب الرسالة صافية ساذجة ، والاهتداء والائتمام بالقرآن المنزل مجردا .

وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الاسلام .

ويقتضي ذلك الاعتصام كل الاعتصام باركان الدين وفروضه وقواعدالآداب كالصلاة والصوم وغير ذلك ، والكون على السذاجة التامة في احوال المعيشة ، وتحريم اتخاذ الملابس الحريرية والتأنق في الاطعمة وشرب الخمر والتبغ - أي الدخان- وغير ذلك ، مما بعضه من اسباب السرف ، وبعضه الآخر من المضار المفسدة لسلامة العقل .

انتهى ما يقتضي ايراده هنامما كتبه ذلك الاجنبيعن الاسلام من الشهادة الصحيحة ، والاعتراف بفضل نهضة الاصلاح الوهابية التي لم تحصر في قطر من اقطار الاسلام ولاشعب من شعوبه ، بل عم اصل نفعها وهدايتها سائر الأقطار والشعوب الاسلامية .

فما اشبه ذلك بامر هرقل قيصر الروم وابي سفيان القرشي حين اطلع قيصر على كتاب النبي ﷺ الذي دعاه به الىالاسلام وجرت قصة محادثة قيصر مع ابي سفيان وقول قيصر لابي سفيان ان صدقت فسيملك محمد ماتحت قدمي ، فيخرج ابو سفيان وهو يقول لقد أمر امر ابن أبي كبشة، فقداصبحيخافهملك بني الاصفر

فما أشبه الليلة بالبارحة فقد اعترف بفضل الوهابية واصلاح نهضتها اعداء الاسلام من العلماء، كما اعترف قيصر بصحة الرسالة . وانكر فضل الوهابية ادعياء العلم من المسلمين الجغرافيين كما جحدفضلالرسالة الاقربون من العرب . والفضل

ماشهـــدت به الاعــداء انتهى باختصار من كتـــاب البراهين الاسلامية . على ابطال المزاعم الراوية .

وقال كارل بروكلمان الالماني في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية ما ملخصه : ولد في نجد المرتفعه في قلب الجزيرة محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم ما بين أواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر - اي الميلادي - فنشأ محبـــاً للعلم واقفـــا نفسه على دراسة الفقــــه والشريعة ، وقصد الى عواصم الشرق الاسلامي طلبا للعلم في مدارسها ، ودرس فقه احمد بن حنبل الذي دافع في شدة وثبات عن مبدأ الاخذ بالحديث والاعتماد عليـــه اعتمادا كليا ضد نزعة الفقهاء السابقين الى الاخذ بالرأي ، ثم انه درس مؤلفات ابن تيمية الذي كان قد احيا تعاليم ابن حنبل .

والواقـــع ان دراسته لآراء هـــذين الامامين انتهت به الى الايقـــان عن ان الاسلام في شكله السائد في عصره مشرب بالمساوىء فلما آب الى بلده الاول سعى اول ما سعى الى ان يعيد الى العقيدة والحياة الاسلاميتين صفاءهما الاصلي - الى ان قال - حتى اذا انفضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه انصارا ومريدين وذكر انه اقام حد الرجم ونهى عن لبس الحرير وحرم ايما تزيين او زخرفه للمساجد والاضرحة ، بل لقـــد توسع في فهم التحريم الاسلامي لمختلف ضروب المسكر فحرم تدخين التبغ الذي اعلن جميع الفقهاء من الحنابلة وغير الحنابلة معارضتهم له اول دخوله الى بلاد الشرق ، قال والواقع ان هذا المصلح لم يكن يتمتع من خصب

الافكار او الابتكار باكثر مما كان يتمتع به الرسول نفسه انتهى المقصود من كلامه .

. . . وقال فيكتور فيندي الصحفي السويدي في مقال له منشور في جريدة البلاد عدد ١٩٠٤ وتاريخ ١٣ المحرم سنة ١٣٨٥ ﻫ مانصه :

ورب سائل يسأل هل للمملكة دستور؟ فاقول له نعم فان دستورها هو القرآن، ويرجع الفضل في ذلك الى الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب المصلح الديني الاكبر الذي قام في القرن الثامن عشر الميلادي بحملة شعواء على المسلمين المتهاونين في دينهم، والذي بينه وبين آل سعود منذ ذلك التاريخ اوثق الوشائج ، ويبدو التمسك بأهداب الدين وبتعاليمه واضحا في كل مكان ، وفى مواسم مثل شهر الصيام في رمضان . أو في موسم الحج عندما يفد الحجيج الى مكة من كل بقاع المعمورة انتهي المقصود من كلامه .

وفيما ذكرته من ثناء علماء المسلمين وعلماء اهل الكتاب على الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كفاية في رد ما قاله المصنف وامثاله فيه من الزور والبهتان . ويعلم من ذلك ما عليه علماء اهل الكتاب الذين ذكرنا اقوالهم من تحري الصدق وأداء الامانة فيما كتبوه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بخلاف المصنف وامثاله من اهل الزيغ والالحاد فانهم قد كذبوا فيما قالوه في حق الشيخ واصحابه ولم يؤدوا الامانة في ذلك ، فبعداً لمن كان الكفار اصدق منهم مقالا واوثق في اداء الامانة .

فصــل

وفي صفحة (٧٨)

ذكر المصنف في جملة ما انكره على الملاحدة العصريين انهم دقوا الابواب بالليل على عدة بيوت كان اهلها مجتمعين لذكر الله تعالى وبعضهم للصلاة على النبي ﷺ بدلائل الخيرات فأسكتوهم .

والجواب أن يقال ان كان الاجتماع لذكر الله تعالى على نحوما يذكر عن الصوفيـة من اجتماع الجماعة ورفعهم اصـواتهم جميعا بالتهليل ، فهذا من البدع التي ينبغي النهي عنها .

وقد انكر ابن مسعود وابو موسى الاشعري رضي الله عنهما على الذين اجتمعوا للذكر على صفة لم يفعلها اصحاب رسول الله ﷺ وعد ابن مسعود رضي الله عنه فعلهم ذلك من البدع .

فروى الطبراني في الكبير عن عمرو بن سلمة قال كنا قعــودا على باب ابن مسعود رضي الله عنه بين المغرب والعشاء ، فأتى ابو موسى رضي الله عنـــه فقال اخرج الينا ابا عبد الرحمن ، فخرج ابن مسعود رضي الله عنه فقال : ابا موسى ماجاء بك هذه الساعة ؟

قال لا والله الا اني رأيت امراً ذعرني وانه لخير ، ولقـــد ذعرني وانه لخير ، قوم جلوس في المسجد ورجل يقول سبحوا كذا وكذا ، احمدوا كذا وكذا . قال فانطلق عبدالله وانطلقنـــا معهم حتى اتاهم فقال : ما أسرع ما ضللتم وأصحاب رسول الله

ﷺ احياء ، وازواجه شواب ، وثيابه وابنيته لم تغير ، أحصوا سيئاتكم فأنا اضمن على الله ان يحصي حسناتكم.

وروى الدارمي عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن ابيه قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة ، فاذا خرج مشينا معه الى المسجد ، فجاءنا أبو موسى الاشعري رضي الله عنه فقال : أخرج اليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا لافجلس معنا حتى خرج ، فلما خرج قمنا اليه جميعاً فقال له ابو موسى يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً . أنكرته ولم أر والحمدلله الا خيراً ، قال: فما هو؟ فقال : ان عشت فستراه ، قال رأيت في المسجد قوماً حلقا جلوساً ينتظرون الصلاة ، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة ، فيقول: هللوا مائة فيهللوا مائة، ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة ، قال فماذا قلت لهم قال : ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظار أمرك قال : أفلا أمرتهم ان يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ان لا يضيع من حسناتهم شيء . ثم مضى ومضينا حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال : فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن ان لا يضيع من حسناتكم شيء ، ويحكم يا أمة محمد ما اسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده انكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة ؟ قالوا : والله يا

أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه .

وروى عبد الله بن الامام احمد في زوائد الزهد والطبراني وأبو نعيم في الحلية وأبو الفرج ابن الجوزي واللفظ له عن أبي البختري قال : اخبر رجل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب ، فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذاوكذا واحمدوا الله كذا وكذا ، قال عبدالله فاذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود رضي الله عنه فجاء ، وكان رجلا حديداً فقال : أنا عبد الله بن مسعود والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماء ، أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علما ، عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالا لتضلن ضلالا بعيداً . وفي رواية الطبراني فأمرهم أن يتفرقوا .

وروى محمد بن وضاح ان عبد الله بن مسعودرضي الله عنه حدث ان ناساً يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوم كل رجل منهم كومة من حصى فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول لقد أحدثتم بدعة ظلماء أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علما .

وقد أمر الله تعالى باخفاء الذكر ونهى عن رفع الصوت بذلك فقال تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول) وثبت عن النبي ﷺ أنه أنكر رفع الصوت بالذكر

ونهى عن ذلك، كما في الصحيحين وغيرهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر او قال : لما توجه رسول الله ﷺ اشرفوا على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر الله اكبر لا إله الا الله ، فقال رسول الله ﷺ « اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » .

واذا علم هذا فالانكار على الذين كانوا يرفعون أصواتهم بالذكر هو الصواب ، بدليل ما ذكرنا من الآية وحديث أبي موسى رضي الله عنه .

وايضا فان رفع الصوت بالذكر حتى تسمع اصوات الذاكرين في الاسواق وهم من داخل البيوت فيه مراءاة للناس، او هو مظنة للمراءاة ومشابهة المرائين . والرياء حرام لانه من الشرك بالله تعالى وقد قال الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) . وما كان مظنة للرياء ومشابهة المرائين فأقل احواله الكراهة ، قاله شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى

وقد روى الامام احمد وابو يعلي وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الايمان عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي.

وايضا فان الذكر الذي تجتمع له الصوفيه لم يكن من فعل النبي ﷺ ولا من فعل اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين .

وقد روى الامام احمد والشيخان وابو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . وفي رواية لاحمد ومسلم والبخاري تعليقا مجزوما به «من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد»

وروى الامام احمد أيضاً وأهل السنن وابن حبان في صحيحيه والحاكم في مستدركه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وقال حذيفة رضي الله عنه كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها ، فان الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا ممن كان قبلكم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة. رواه الدا رمي وابن وضاح . وفي رواية لابن وضاح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم . وروى ابن وضاح أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : اتبعوا سبلنا ولئن اتبعتمونا لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن خالفتمونا لقد ضللتم ضلالا بعيداً .

ولقد ذكر عن بعض الصوفية أنهم كانوا يبتدئون الذكر بقول لا إله إلا الله ، ثم يقتصرون على الاسم المفرد فيقولون الله الله ، ثم يعدلون عن ذلك الى المضمر فيقولون هو . هو ويزعمون ان الاتيان بلا إله إلا الله تامة هو ذكر العامة ، وان الاقتصار على الاسم المفرد هو ذكر الخاصة . وان الاقتصار على الاسم المضمر هو ذكر خاصة الخاصة . وهذا من تلاعب الشيطان بهم ، وفاعل هذا ينبغى زجره عنه ، وإن أصر على المخالفة فينبغي أن يؤدب بما يردعه عن هذه البدعة ، فان الاقتصار على الاسم المفرد أو على المضمر ليس بذكر مشروع ، وانما هو من بدع الصوفية.

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى : ومن هؤلاء من برجح الاسم المفرد كقوله الله الله الله على كلمة الاخلاص التامة وهي قول لا إله إلا الله ، ومنهم من برجح ذكر المضمر وهو قول هو . هو أو يا هو على الاسم المظهر ، وهذا كله من الغلط الذي سببه فساد كثير من السالكين حتى آل الأمر ببعضهم الى الحلول والاتحاد . وكل ذكر علمه الرسول ﷺ لأمته أو قاله إنما هو بالكلام التام لا بالاسم المفرد ولا بالمضمر انتهى .

والصلاة على النبي ﷺ بدلآئل الخيرات بدعة أحدثها أهل الغلو والاطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ عليه وسلم بقوله « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد قال الامير محمد بن اسماعيل الصنعاني رحمـه الله تعالى في قصيدته التي مدح بها شيخ الاسلام محمد بن عبـد الوهاب رحمه الله تعالى .

وحرق عمـداً للدلائل دفتراً
أصاب ففيها ما يجل عن العد
غلو نهى عنـه الرسول وفرية
بلا مرية فاتركه ان كنت تستهدي
أحاديث لا تعزي الى عالم فلا
تساوي فلساً ان رجعت الى النقد
وصيرها الجهال للذكر ضرة
ترى درسها أزكى لديهم من الحمد
لقد سرني ما جاءني من طريقه
وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

ثم ان رفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ بدعة أخرى ، قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى اتفق المسلمون على ان الصلاة على النبي ﷺ والدعاء كله سراً أفضل، بل الجهر ورفع الصوت بالصلاة بدعة انتهى .

وروى محمد بن وضاح عن يونس بن عبيد قـال كانوا يجتمعون فأتاهم الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد ما ترى في مجلسنا هذا ، قوم من أهل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد نجتمع في بيت هذا يوما وفي بيت هذا يوماً ، فنقرأ كتاب الله وندعو

ربنا ونصلي على النبي ﷺ ، وندعو لأنفسنا ولعامة المسلمين قال فنهى عن ذلك الحسن أشد النهي .

واذا علم هذا فالصواب المنع من الصلاة على النبي ﷺ بدلائل الخيرات ومن رفع الصوت بالصلاة عليه ﷺ ، لأن ذلك بدعة والبدع لا يجوز إقرارها .

فصل

وفي صفحة (٩٨)

أورد المصنف هؤلاء الآيات . (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) . ثم جزم انها مما نزل في ملاحدة العصريين دون غيرهم ، قال وان ظن كثير من اهل التفسير انها نزلت في الحرورية .

والجواب ان يقال ان الاية عامة لليهود والنصارى والحروية وغيرهم ممن كان يعبد الله تعالى على غير طريقة مرضية ، ويدخل في عمومها ملاحدة العصريين وغيرهم ممن يحسب انه مصيب في عمله وهو مخطيء فيه .

وقد روي البخاري في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه قال هم اليهود والنصارى . وروي مثله عن ابن عباس

رضي الله عنهما . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والضحاك وغير واحد هم الحرورية

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ومعنى هذا عن على رضي الله عنه ان هـذه الآية الكريمة تشمل الحـــرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغـيرهم ، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فان هـذه الآية مكية قبل خطـاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية وانمـــا هي عـــامة في كل من عبد الله على غـير طريقة مرضية يحسب انـه مصيب فيها وان عمـله مقبول وهو مخطيء وعمـله مردود كمـــا قال تعالى (وجوه يؤمئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية). وقال تعالى (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثورا) وقالى تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) .

فصــــل

وفي صفحة (١٠١)

ذكر المصنف المارقين من العصريين وقال مانصه : حتى صار المؤمن يمشي فيهم مختفياً لا سيا اذا كان ذاكراً لله تعالى أو حاملا لسبحة في عنقه .

والجواب ان يقــال ليس حمل السبحة في العنق من افعــال المؤمنين وانما هو من افعال الصوفية المبتدعين .

ولايجوز حمل السبحة في العنق لأمور ثلاثة :

الاول أنه من محدثات الأمــور التي حــذر منها رسول الله ﷺ امته فقــال في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوابها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه الامام احمد واهل السنن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه ابن حبان والحــاكم ووافقــه الذهبي في تلخيصه ، وروى الامام احمد ايضا والشيخان وابوا داود وابن ماجة عن عائشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وفي رواية لاحمد ومسلم والبخاري تعليقاً مجزوما به «من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » ـ اي مردود .

الثاني إن في حملها في العنق مشابهه النساء لان تعليق القلائد في

الرقاب من افعالهن وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء في عدة احاديث ليس هذا موضوع ذكرها .

الثالث : ان في تعليقها في العنق مراءآة للناس ، أو هو مظنة للمراءآة ومشابهة المرائين . والرياء شرك وما كان مظنة للمراءآة ومشابهة المرائين فأقل احوله الكراهة .

والمشروع عد التسبيح بالاصابع لا بالسبحة ،

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى عد التسبيح بالاصابع سنة كما قال النبي ﷺ للنساء سبحن واعقدن بالاصابع فانهن مسؤلات ومستنطقات وأما عده بالنوى والحصى ونحو ذلك فحسن ، وكان من الصحابة من يفعل ذلك وقد راى النبي ﷺ ام المؤمنين تسبح بالحصى واقرها على ذلك . وروي انا ابا هريرة رضي الله عنه كان يسبح به .

وأما التسبيح بما يجعل في نظام من الخرز ونحوه فمن الناس من كرهه ، ومنهم من لم يكرهه ، وإذا أحسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه . وأما اتخاذه في اليد أو نحو ذلك فهذا إما رياء للناس أو مظنة المراءآة ، ومشابهة المرائين من غير حاجة ، والأول محرم والثاني أقل احواله الكراهة ، فان مراءآة الناس في العبادة المختصة كالصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن من أعظم الذنوب انتهى .

وروى محمد بن وضاح عن الصلت بن بهرام قال مرا بن مسعود رضي الله عنه بامرأة معها تسبيح تسبح به فقطعه وألقاه ، ثم مر

برجل يسبح بحصى فضربه برجله ثم قال لقد سبقتم ، ركبتم بدعة ظلماء ،أو لقد غلبتم أصحاب محمد ﷺ علماً .

وروى ابن وضاح ايضاً عن إبان بن أبي عياش قال سألت الحسن عن النظام من الخرز والنوى ونحو ذلك يسبح به ،فقال: لم يفعل ذلك أحد من نساء النبي ﷺ ولا المهاجرات ، وبلغني ان ابن مسعود مر على رجل وهو يقول لأصحابه سبحوا كذا وكبروا كذا وهللوا كذا قال ابن مسعود : على الله تعدون أو على الله تسمعون ، قد كفيتم الاحصاء والعدة . قال إبان فقلت للحسن فان سبح الرجل وعقد بيده قال لا أرى بذلك بأساً .

فصل

وقال المصنف في صفحة (١٠٧) ما نصه :

ومما ظهر وشاع في هذا الزمان من مقالات الكفار التي روجها هؤلاء المارقون مقالة داروين النشوء والارتقاء ، وان الانسان أصله قرد ، وقد أشار النبي ﷺ الى هـذه المقالة وبطلانها في الحديث الصحيح المخرج في الصحيح عن النبي ﷺ قال « ان الله خلق آدم على صورته » اي صورة آدم التي خلقه عليها ، ولم يخلقه في صورة القرد ثم بعد ذلك النشوء والتطور والارتقاء صار الى هذه الصورة الموجود عليها بنو آدم اليوم .

والجواب ان يقال : أما مقالة داروين فهي كفر صريح لما فيها من التكذيب بما اخبر الله به عن خلقه لآدم من طين ،وان الله

تعالى خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له . وهذه فضائل عظيمة خص الله بها آدم دون سائر المخلوقات .

وفي هذه المقالة الخبيثة ايضاً أعظم عقوق لآدم أبي البشر حيث جعلوه ناشئاً من القردة التي هي من أخبث الحيوانات وأشوهها خلقاً .

ولا تستغرب هذه المقالة الخبيثة وأمثالها من مقالات الكفر من ملاحدة الافرنج وأشباههم من أعداء الله تعالى ، وانما المستغرب تلقيها بالقبول من كثير من المنتسبين الى الاسلام ، ومنهم من ينتسب الى العلم ، وقد رأيت معناها منشوراً في بعض صحف المسلمين الرائجه عندهم ، وما رأيت أحداً أنكر ذلك عليهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وانما يقول بهذه المقالة الخبيثة من ينكر وجود الصانع ،ويرى ان المخلوقات انما تكونت من قبل الطبيعة لا بفعل الرب الفاعل المختار الذي أوجد جميع المخلوقات من العدم وصورها على غير مثال سبق ، قال الله تعالى (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) وقال تعالى مخبراً عن موسى عليه الصلاة والسلام(قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى) وقال تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وقال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) . وفي هذه الآيات رد على ملاحدة الأفرنج ومن يقلدهم من طغام المسلمين فيما يزعمونه من النشوء والتطور والارتقاء، والآيات في الرد عليهم كثيرة وفيما ذكرته ههنا كفاية .

وفي الحديث الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « ان الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنوا آدم على قدر الارض ، جاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك » رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في سننه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه . وفي هذا الحديث رد على من قال بالنشوء والتطور والارتقاء في بني آدم .

وأما تأويل المصنف لقول النبي ﷺ ان الله تعالى «خلق آدم على صورته» بقوله رأي صورة آدم التي خلقه عليها ، فهو تأويل باطل مردود وهو من اقوال الجهمية ، نص على ذلك الامام احمد رحمه الله تعالى في رواية أبي طالب عنه . قال ابو جعفر محمد بن علي الجرجاني المعروف بحمدان سألت أبا ثور عن قول النبي ﷺ « ان الله خلق آدم على صورته » فقال على صورة آدم وكان هذا بعد ضرب احمد بن حنبل والمحنة ، فقلت لأبي طالب قل لأبي عبد الله ، فقال لي أبو طالب قال لي أبو عبد الله : صح الأمر على أبي ثور ، من قال ان الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي ، وأي صورة كانت لآدم قبل ان يخلقه ؟

وقال زكريا بن الفرج سألت عبد الوهاب ـ يعني الوراق ـ غير مرة عن أبي ثور فأخبرني ان أبا ثور جهمي ، وذلك أنه قطع

بقول أبي يعقوب الشعراني حكى أنه سأل أبا ثور عن خلق آدم على صورته فقال انما هو صورة آدم ليس هو على صورة الرحمن. قال زكريا فقلت بعد ذلك لعبد الوهاب ما تقول في أبي ثور ؟ فقال ما أدين الله عز وجل فيه الا بقول احمد بن حنبل : يهجر ابو ثور ومن قال بقوله . قال زكريا وقلت لعبد الوهاب مرة أخرى وقد تكلم قوم في هذه المسألة خلق الله آدم على صورته فقال من لم يقل ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فهو جهمي .

وقد قال عبد الله بن الامام احمد في كتاب السنة حدثني ابو بكر الصاغاني حدثنا ابو الاسود وهو النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن أبي يونس ـ وهو سليم بن جبير السدوسي مولى ابي هريرة ـ عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « اذا قاتل احدكم فليجتنب الوجه ، فانما صورة الانسان على وجه الرحمن » . ابن لهيعة ضعفه بعض الأئمة ، وحسن بعضهم حديثه ، وروى له مسلم مقروناً بآخر ، وبقية رجاله ثقات.

وقال ابو بكر الآجري في كتاب الشريعة اخبرنا ابو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم المروزي قال حدثنا جرير بن عبد الحميد عن الاعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقبحوا الوجه فان ابن آدم خلق على صورة الرحمن عز وجل» اسناده صحيح . ابو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال فيه ابو علي الحافظ : ثقة مأمون، وقال ابو بكر الاسماعيلي: ثقة ثبت،

وقال ابو الحسن ابن المنادي : هو احد الثقات والصلاح والفهم لما يحدث به ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

قال ابو بكر الآجري هـذه من السنن التي يجب على المسلمين الايمان بها ، ولا يقال فيها كيف ولم، بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر ، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين حدثنا ابو نصر محمد بن كردي قـال : حدثنا ابو بكر المروذي قـال سألت أبا عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله عن الاحاديث التي تردهـا الجهمية في الصفات والاسماء والرؤية وقصة العرش ، فصححها وقال : تلقتها العلماء بالقبول ، تسلم الاخبار كما جاءت .

وقال ابو بكر المروذي : وأرسل ابو بكر وعثمان إبنا أبي شيبة الى ابي عبد الله يستأذنانه في ان يحدثا بهذه الاحاديث التي تردها الجهمية ، فقال ابو عبد الله حدثوا بها فقد تلقتها العلماء بالقبول. وقال ابو عبد الله تسلم الاخبار كما جاءت .

قال محمد بن الحسين الآجري : سمعت أبا عبد الله الزبيري وقد سئل عن معنى هذا الحديث ، فذكر مثل ما قيل فيه ، ثم قال ابو عبد الله : نؤمن بهذه الاخبار التي جاءت كما جاءت ، ونؤمن بها ايماناً ولا نقول كيف ، ولكن ننتهي في ذلك الى حيث انتهي بنا فنقول في ذلك ما جاءت به الاخبار كما جاءت.

فصل

وفي صفحة (١١٣) وصفحة (١١٤)

ذكر المصنف عداوة المستشرقين للاسلام ، وشدة بحثهم عن الطرق الموصلة الى القضاء عليه وافساده ، واتفاق الدول الكافرة على ذلك ، وانفاقهم الاموال الباهظة عليه .

قال ومع ذلك فهم أشد الناس خدمة للصوفية وتعظيما لهم ، واحتراما لأضرحة الأولياء وإقامة الموالد التي تقام لهم كل سنة ، حتى إنهم هم الذين ينفقون عليهم في بعض الأحيان ويشجعون القبائل على اقامتها بحضور الرؤساء منهم وغير ذلك ، مع ما فيه من المظاهر الاسلامية والتآلف والاجتماع والتعارف الذي يحصل بينهم بسببها ، وهو الذي يحاربونه بمكة ويسعون في القضاء عليه.

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : ان تعظيم الأضرحة وإقامة الموالد للصوفية ليس هو من المظاهر الاسلامية . وإنما هو من مظاهر الوثنية والبدع المضلة . وهل وقع الشرك وعبادة القبور قديماً وحديثاً الا بسبب الغلو في الأولياء أو من تظن الولاية فيه ، والعكوف على قبورهم وتعظيمها بالبناء والكتابة عليها والتمسح بها واتخاذها مساجد ، وغير ذلك مما نهى عنه الشرع المطهر .

الوجه الثاني : من عجيب أمر المصنف وقبيح جهله قوله عن احترام اضرحة الأولياء وإقامة الموالد للصوفية انفيه أعظم تأييد

للدين ، وهذا من قلبه للحقيقة ، فان هذه الأمور من أعظم هوادم الدين كما لا يخفى على من له أدنى علم وفهم . وهذا مولد البدوي الذي تقيمه الصوفية وأمثالهم من الطغام في كل عام ، ويحضره مئات الألوف من الناس الذين لا يسمعون ولا يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا من الانعام ، ويحصل فيه من أنواع الشرك والبدع والمنكرات العظيمة ما لا يعد ولا يحصى ، هل يقول مسلم انه من المظاهر الاسلامية وان فيه تأييداً للدين ؟ كلا . لا يقول هذا مسلم ، وانما يقوله من طبع الله على قلبه فصار يرى الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق ، عياذاً بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب .

. . . الوجه الثالث : ان خدمة الافرنج للصوفية وتعظيمهم لهم ليس هو من اجل تمسك الصوفية بدين الاسلام كما قد توهمه المصنف وإنما ذلك لما بينهم وبين الصوفية من المناسبة والمشاكلة في الغلو في المخلوقين والبعد عن الدين الصحيح .

فأما الافرنج فلا يخفى ما هم عليه من الغلو في المسيح وأمه والحواريين وغيرهم من القديسين عندهم ، حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله .

وأما الصوفية فلا يخفى ما هم عليه من الافتتان بالبدوي وغيره من المعتقدين عندهم ، حتى اتخذوهم آلهة من دون الله ، يفزعون اليهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات ، ويسمون البدوي قطب الاقطاب والغوث الذي يتصرف في الكون

ويدبر فيه . ومن كانت هذه حالهم فلا تستغرب خدمة أشباههم لهم وتعظيمهم اياهم .

وأيضاً فان المستشرقين من علماء الافرنج لا تخفى عليهم مخالفة الصوفية لدين الاسلام وبعدهم عنه ، فهم لذلك يخدمون الصوفية ويعظمونهم ، ويقيمون لهم الموالد وينفقون الاموال الكثيرة فيها ويشجعونهم عليها ، يريدن بذلك اظهار الوثنية والبدع وأنواع المنكرات ، وتوهين الاسلام والقضاء عليه كما قال الله تعالى (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .

الوجه الرابع : ان أعظم المظاهر الاسلامية أركان الاسلام الخمسة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ولزوم طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ في كل شيء . ولم يكن المستشرقون يشجعون المسلمين على هذه الامور ، لانها من أبغض الاشياء اليهم ، وانما كانوا يشجعون الطغام على ما يخالف الاسلام ويهدمه ، من انواع الشرك والبدع والمعاصي .

الوجه الخامس : من أعظم فضائل النجديين وأكبر مناقبهم محاربتهم للمظاهر الوثنية والبدع وسعيهم في القضاء عليها . وهذا المصنف المسكين قد ذكر أنهم يحاربون إقامة الموالد بمكة ويسعون في القضاء عليها ، يريد بذلك ذمهم وعيبهم ، ولا يدري أنه في الحقيقة ما دح لهم ومثن عليهم بقمع البدع والمحدثات التى حذر منها رسول الله ﷺ وأخبر أنها ضلالة .

ولما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتباعه أهل توحيد وسنة ومحاربة لاهل الشرك والبدع ، كان هذا الصوفي المفتون بالمظاهر الوثنية والبدع المضلة يشن الغارة عليهم بالافك والبهتان ، فيقول عن ظهور الشيخ محمد وتجديده للدين ان ذلك هو طلوع قرن الشيطان في نجد ، ويقول عن نشر الشيخ للتوحيد والسنة ان ذلك هو نشر الفتنة ، ويسمي النجديين بالقرنيين ، ويقول إنهم يبغضون الرسول ﷺ ، وانهم يحاربون المدنية ويسعون في القضاء عليها وانهم أعداء اهل المدنية وانهم يضيقون عليهم ويعاملونهم بما يحملهم على مفارقتها والخروج منها لتخرب . وما ينقم هذا الصوفي منهم إلا أنهم ينكرون ما هو مفتون به هو وشيعته الصوفية من المظاهر الوثنية والبدع المضلة .

فصل

وفي صفحة (١٢٤)

زعم المصنف ان اجابة الدعاء قد رفعت إلا في رمضان ، وعند الكعبة ، وعرفات ، ثم رفعت مطلقاً .

والجواب : ان يقال هذا القول خطأ ظاهر ورجم بالغيب ومن أين له العلم برد الداعين كلهم وعدم اجابتهم ؟ (أعنده علم الغيب فهو يرى) .

ولم يزل المسلمون ولله الحمد يرون إجابة الدعاء للجماعات والافراد ، فما زعمه المصنف من رفع الاجابة مردود عليه .

فصــل

وفي صفحة (١٢٧)

سمى المصنف النجديين بالقرنيين، وزعم أنهم أعداء أهل المدنية ، وانهم يضيقون عليهم ، ويعاملونهم بما يحملهم على مفارقتها والخروج منها لتخرب .

والجواب : ان يقال هذا من الكذب والبهتان ، كما لا يخفى على من رأى المدنية وأهلها في هذه الازمان . وقد تقدم الجواب عن هذا البهتان في أثناء الكتاب (صفحة ٧٩ فما بعد) فليراجع .

فصــل

وفي صفحة (١٣١)

جزم المصنف ان علماء الوقت هم شر من تحت أديم السماء.

والجواب : ان يقال هذا الاطلاق خطأ ورجم بالغيب ، ومن أين له العلم بأحوال العلماء كلهم حتى يحكم عليهم بأنهم شر من تحت أديم السماء ؟ . (أطلع الغيب أم أتخذ عند الرحمن عهداً).

والحق ان العلماء ليسوا كلهم مذمومين ، لانهم لم يكونوا على طريقة واحدة ، بل منهم المحسنون المستحقون للثناء والمدح، ومنهم المسيئون المستحقون للذم والقدح .

وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ،لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم،حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » رواه عن النبي ﷺ ثلاثة عشر من الصحابة رضي الله عنهم ، وكلها أحاديث صحيحة .

والمراد بالطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة. وجزم البخاري في صحيحه أنهم أهل العلم. وقال ابن المبارك وابن المديني واحمد بن سنان وابن حبان: هم أصحاب الحديث. وقال يزيد بن هارون واحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟ قال القاضي عياض: «إنما أراد احمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث» انتهى.

وفي هذه الاحاديث رد لما جزم به المصنف في علماء الوقت، لان الطائفة المنصورة لم تنقطع من الارض ولا تنقطع منها حتى يأتي أمر الله تعالى بهبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن. واذا كانت الطائفه المنصورة باقية الى الآن فلا بد ان يكون فيها علماء صالحون مصلحون لما أفسد الناس، وأولئك من خير من تحت أديم السماء، لا كما يقول المصنف أنهم شر من تحت أديم السماء.

فصـــل

وقال المصنف في صفحة (١٣٧) ما نصه:

فلو طاف المرء أقطار الارض لما وجد من يفتيه بسنة أصلا.

والجواب ان يقال هذا القول خطأ ظاهر، فان الارض لم تخل من قائم لله بحجة، ولا تخلو ما دامت الطائفة المنصورة موجودة.

وكبار العلماء عندنا في الجزيرة العربية لا يعدلون عن الفتيــا بالكتاب والسنة، واذا عدموا الدليل من الكتاب والسنة رجعوا الى أقوال الصحابة، وبعد ذلك الى أقوال التابعين وأئمة العلماء.

فصل

وفي صفحة (١٣٨)

ذكر المصنف قول النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » .

ثم قال ما نصه :

وتحدثا بنعمة الله علينا نقول إننا من تلك الطائفة والحمد لله، وبنا وبأمثالنا يندفع الضلال عن هذه الامة ، ويتحقق ما أخبر به النبي ﷺ من ان أمته لا تجتمع على ضلالة ، وانها لا تزال بها طائفة قائمة بالحق عاملة به الى ان يأتي أمر الله وهم على ذلك . بل لا نبالغ اذا قلنا قد وردت الإشارة الينا والحمد لله تعالى على فضله ومنته وذلك فيما رواه ابن وضاح وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا ظهرت فيكم السكرتان : سكرة الجهل ؛ وسكرة حب العيش وجاهدوا في غير سبيل الله فالقائمون يومئذ بكتاب الله سراً وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والانصار » .

فليس في مغربنا بل ولا في الشمال الافريقي قائماً بكتاب الله داعياً اليه سراً وعلانية ، محارباً ومخالفاً من المقلدة الذين هم اكثر أهل الارض غيرنا .

والجواب ان يقال هذه دعوى المصنف لنفسه وتزكيته لها . والله اعلم هل هو عند الله كذلك أم لا ؟ وقد قال الله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) .

وقد ذكرت عنه كثيراً مما يخالف ما عليه الطائفة المنصورة ، ولاسيما تفسيره لجملة آيات من القرآن بمجرد رأيه ، وقوله على الله وعلى رسوله ﷺ بغير علم ، وكذلك استحلاله للكذب والبهتان على أهل نجد وعيبهم بما ليس فيهم ، والكذب من النفاق ، وسباب المسلم فسوق وكذلك تعظيمه للمظاهر الوثنية والبدع التي تقيمها الصوفية في الموالد ، وكذلك استرساله في اللعن والشتائم ، وكذلك تقريره لمذهب الجهمية في قول النبي ﷺ « ان الله تعالى خلق آدم على صورته » الى غير ذلك مما ذكرته عنه فيما تقدم ، فليراجع ذلك وليقارن بينه وبين ما ادعاه لنفسه من مرتبة الكمال ، فما أبعدها دعوى من الصحة .

فصل

وقد صدر المصنف كثيراً من عناوين كتابه بقوله : « اخباره ﷺ بكذا و كذا » بصيغة الجزم بأن النبي ﷺ أخبر بذلك . وهو لم يرد صريحاً عن النبي ﷺ .

وهذا من القول على النبي ﷺ بما لم يقله ، وقد تواترت الاحاديث بالوعيد الشديد لمن قال على النبي ﷺ ما لم يقله ، وليس هذا موضوع ذكرها .

فصل

وقد أكثر المصنف من اللعن والشتم في كتابه الذي رددنا عليه فيه ، وربما فعل ذلك في حق أناس معينين .

ولا يجوز لعن المعين ولو كان كافراً ، الا اذا تحقق أنه مات على الكفر فأما اذا كان حياً فانه يرجى له الاسلام فيدعى له بالهداية ولا يدعى عليه بالطرد والابعاد من رحمة الله .

ولما لعن رسول الله ﷺ أناساً معينين من رؤساء الكفار يوم أحد ، أنزل الله عليه (ليس لك من الأمر شيئاً أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) ثم تاب الله عليهم فأسلموا وحسن اسلامهم . والحديث بذلك في صحيح البخاري ومسند الامام أحمد وغيرهما من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم .

فأما لعن اهل المعاصي على سبيل العموم فجائز ، وهو كثير في الكتاب والسنة .

وقد ورد النهي عن اللعن والسب في احاديث كثيرة ليس هذا موضع ذكرها .

وروى الامام احمد ومسلم وابو داود عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » .

وروى الامام احمد ايضا والترمذي وابن حبـــان في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الايمـــان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ « ليس المـــؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي » قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، قال الحاكم : على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي في تلخيصه .

وروي الترمذي ايضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ « لا يكون المؤمن لعانا » قال الترمذي هذا حديث حسن غريب ، وروى بعضهم هذا الحديث بهـــذا الاسناد عن النبي ﷺ وقال « لا ينبغي للمؤمن أن يكـــون لعانا » .
قلت وقد رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ، وفي رواية له « لا ينبغي لمسلم ان يكون لعانا » .

وروى الامام احمـــد والطبراني عن جرموز الهجيمي رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أوصني ، قال : « أوصيك ان لا تكون لعاناً » .

وهذا آخر ما تيسر ايراده .
والحمد لله رب العـــالمين ، وصلى الله على نبينـــا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيراً .

وقد وقع الفراغ من تسويد هذا الرد في يوم الاثنين الموافق للعشرين من ربيع الاول سنة ١٣٨٥ هـ .

ثم كان الفراغ من كتابة هـذه النسخة في يوم الثلاثاء الموافق للسابع والعشرين من ربيـع الآخر من السنة المـذكورة على يد جامعه الفقير الى الله تعالى حمود بن عبد الله التويجري . غفر الله له ولوالديه وللمسلمين والمسلمات ، الاحيـاء منهم والاموات ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . ؟

وكان الفراغ من طبعه في ٢٨ رمضان المبارك ١٣٨٥هـ في

مؤسسة النور للطباعة والتجليد

زادها الله قوة في نصرة الحق ودمغ الباطل

تم الفهرس والحمد لله رب العالمين